

عقود الألماس

بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب

أحمد بن حسن العطاس

العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي رضي الله عنه

تأليف

العلامة المؤرخ الأديب

المير علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد الحضرمي

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

حقوق الطبع محفوظة لحفيد صاحب المناقب

المير محمد بن سالم بن أحمد العطاس

مطبعة الملك

٦٨ شارع العباسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، اصطنع من عباده المخلصين أصفياء مخلصين ، وأولياء
مُكْرَمِينَ ، أولئك أولو البصيرة واليقين ، والسبق والإمامة في الدين ، القائمون
بِحَقِّ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) جعلهم مصابيحاً للسالكين ، وأدلةً للمريدين ،
وهداةً للحائرين ، أشهرهم فكانوا أعلاماً للطريق ، وبصَّروهم فكانوا أئمةً للهداية
وعُيُوناً للتحقيق ، سار بهم الواقف . وتقدم بهم المخالف ، وأرتدع بحُجَجِهِم
المخالف وأهتدى بنورهم الحائر . وأقبل برؤية جِدِّهِم المعرضُ الفاتر وكل
بتريبتهم المتخلف الناقص ، وتقدم إلى حُلَّةِ السبق الكسول الناكس ،
تضاعفت أنوارهم بأعمالهم ، وتزكَّتْ أحوالهم بإقبالهم ، أنابوا إليه فهداهم
واجتباهم وأستجابوا له ووالوه فقرَّبَهُم ووالاهم ، قرَّبَهُم بامتثالهم ، ونورَهم
بأعمالهم ، وأحبَّهم وحبَّهم لإقبالهم .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا)

كاشفهم بأنوار الكشف العالی ، وزین قلوبهم بنور منه متلالي ، فكشفوا
به عن عيوب النفوس وآفات الأعمال ، وعن المواحيد ومنازل السَّيْرِ ومنازلات
الواردات والأحوال ، وأبصروا به من معالي الأسماء والصفات وأنوارها
وآثارها وحقائق المعرفة ، ما لا يبلغه التعريف ولا يستوفيه التوقيف ولا تُعْرَبُ
عنه الصفة .

(ويزيد الله الذين اهتدوا هُدًى والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً
وخير مَرَدًّا) .

أحياءهم في هذه الدار حياتين ، حياة المعرفة والسرور والأنس بالله وقرَّة
العين ، وآناهم من الرحمة كِفْلَيْنِ وكتب في قلوبهم الإيمان ، وآناهم العلم ونور

الفرقان ، وصلى عليهم وملائكته ليخرجهم من الظلمات إلى النور . وأيدهم
بروح قدسي منه فكانوا في الحزب المفلح المنصور . .

فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ، (وأتقوا
الله ويعلمكم الله) (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس)
الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
ويجعل لكم نورا تمشون به) (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح
منه وبدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا
عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

فكأن من نقي خلصت ذاته من الكدر . وعمها الصفاء فيما بطن منها وظهر
وأمدت بسرّ تبدلت به صفاتها . وتركت أخلاقها وحالاتها . فشتم روح الأنس
فهامت رُوحه . وتبلاّجت له أنوار الحى فهاجت تباريحه ، فشمر مقبلا منفعرا
بوجدته . يحدوه شوق مستنفد طاقته ووجدته ، برغبة متقاضية ، وهمة غالبة عالية .
فلا يقر قراره . ولا يسكن ليله ولا نهاره . من شوق مزعج مقلق . ووجد مؤجج
محرق . وحار يجد به ثم لا يرفق . والعالم الأدنى بصدق التوجه مرفوض ، وبصر
الفتواد عما سوى الله مفضوض ، فما زال مصابرا مثابرا حتى أمدّه الله بنور القوه
ومنحه معانى الأخذ والاستواء والفتوة ، ايقوى على الحمل الذى حمل . وليثبت
متمكنا فيما يفاجئه وبستقبل ، حتى إذا تمت عليه نعمة الكريم الواهب .
وفتحت له أبواب المواهب . أفرغ على ذاته من أنوار الفتوح . ما زال به
الحجاب بين الجسم والروح .

(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)

فذاك حين تفيض الأنوار من باطن قلبه كاتفيض أشعة الشمس من قرصها .
نور السلوك ونور الفتوح قد جمعا فأشرقا بين عبّاد وزهاد

فانفسح لذاك صدره وانشرح ، واتضح لديه من دقائق العلم اللدني ولطائفه
 ما اتضح ، وقرت العين بالعين . وزال البين من البين . فصار العلم كشفاً وعياناً
 والإيمان ذوقاً وحلاوة ووجداناً ، والمعرفة معنى تقصر عنه العبارة . ممتمناً على
 دلالات الاقتضاء والإيماء والإشارة ، لعمرى والله إن هذا لصوت لا يبلغ كل
 أذن ولا يأذن له كل سمع . وذكري لا يلين لها كل قلب ولا يفيض لها كل دمع ،
 وصيب لا ينزل بكل أرض ولا يسقي منه كل زرع ، ومثابة لا يبلغ إليها كل
 قاصد . وعين لا يشرب منها كل وارد ، وصيد لا يفاله كل صائد . ومائدة
 لا يجلس عليها طفيلي .

على نفسه فليبيك من ضاع عمره وايس له منها نصيب ولا سهم
 ثم استمر به السير يستعرض أسرار المسكونات . ويستقبل عجائب غرائب
 المخلوقات ، ويرد مناهل المعارف ، ويقتطف أزهار رياض العوارف ، ويترقى
 عن أسرار الكنائف إلى عالم أنوار الرقائق واللطائف ، وبصره في ذلك كله
 طامح إلى المثل الأعلى . بمقعد الصدق الذي هو به أولى ، في مجالى تقف دونها
 الأمانى حسرى . والعقول محجوبة عنها والهة حيرى .

فتم وراء العقل علم يدق عن مدارك أرباب الفهوم الدقيقة

قال الامام القطب الحداد

ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها تفشته في العقبي فنون الندامة
 ومن كانت الدنيا قصارى مراده فقد باء بالخسران يوم القيامة
 ومن لم يكن في طاعة الله شغله على كل حال لا يفوز ببغية
 ولا ينشق الفياح من طيب حضرة الـ وصال إذا هبت نسيم العناية

اللهم فصل أفضل صلواتك . وسلم أزكى تسليماتك على عبدك ورسولك
 الذى رفعت في العوالم العليا والسفلى ذكره ، وشرحت بأنوار وحيك وتجليك

صدره وتوليت دون غيرك تأييده ونصره ، وقصرت المحبة منك على
متبعيه . وجعلت الحصول على طاعتك وقفاً على مطيعيه ، ويدك فوق أيدي
مبايعيه ، وعهدك هو العهد الذي يعطيه ، وحرمت جنتك ورضوانك على
معانديه . فمن ورد عليك بغير جوازه كان مردوداً . ومن صدّ عنه كان عن رحمتك
مصدوداً . وعلى آله الأطهار حمّال أسرارهم وأقمار أنوارهم ، ومتّبعي آثارهم ،
وصحبه أولى الصبر والنصر . الخصوصيين بفضيلة السبق ورفعة القدر .

(أما بعد) فهذه خلاصة نافعة . ومقتطفات جامعة من مناقب شيخنا إمام
عصره . وفريد دهره ، الكامل علماً وعملاً وحالاً ومقاماً . من أقامه الله بين
الناس مقتدى وإماماً ، ومنحه رتبة قرب ومكانة محبة لا تسامى . فانفتحت له أبواب
المعارف ، وانكشفت له الأنوار والأسرار واللطائف ، وأقيم رحمة للناس .
ودليلاً للاكياس ، ونوراً في الظلم والأغلاس ، الحبيب العارف بالله (أحمد بن
حسن بن عبد الله بن علي العطاس) السيد الشريف العلوي الحسيني التمسها مني
حفيدة الأروع الأملى ، الصالح التقى السيد الشريف (محمد بن سالم) ابن شيخنا
أحمد فدلتته على المناقب الجامعة التي ألفها العلامة المبرز ، ناسج برود البيان
والمطرز ، والمبتدئ السابق إلى فضائله والمعزز الشيخ محمد بن عوض بن بافضل
المذحجي السعدي التريمي فقد أجاد وأفاد ، ووفى بالمطلوب وزاد . كما أنه عامل
على الاستقصاء في تأليف آخر مستطاب . فالتأليف بعده في الموضوع جملة لا محل
لها من الإعراب . ولكن الملتبس المشار إليه أكّد طلبه بما لم أجده معه موضعاً
للاعتذار . ولا مناص للتهرب والفرار . فكتبت ما تيسر من الموجود لدى
ومما أخذته من المناقب المشار إليها عند الحاجة مشيراً إلى ذلك بقولي . قال في
الأصل . أداء للأمانة ، واعترافاً بفضل ذوى السبق والفتانة .

وقد صدرته بخمسة فصول : (الأول) في إجمال حال شيخنا (الثاني)
في فضل الأولياء وتعريف الولي (الثالث) في التنبيه على شبهات وأغلاط في شأنهم

وقع فيها بعض الناس . (الرابع) في طريقة صاحب المناقب وهي طريقة أسلافه العلويين . (الخامس) في التحذير من الطرائق الشيطانية المقوته المؤدية إلى الزندقة والكفر الصريح .

ثم أتبع ذلك بفصول في طريقة أسلافه ونسبه الطاهر وغير ذلك مما ستراه إن شاء الله تعالى . وسميت هذه المناقب .

(عقود الألباس بمناقب الإمام الحبيب)

أحمد بن حسن العطاس

والله المستول أن يعيد علينا من بركات صاحب المناقب . ويفتح لنا من فضله أبواب الفتوح والمواهب ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير آمين .

الفصل الأول

في جملة من أحوال صاحب المناقب رضي الله عنه

أعلم أنا عقدنا هذا الفصل لنذكر فيه مجمل حال شيخنا مع الإشارة إلى شيء من الشواهد كما يقتضيه المقام ، أما التفصيل وبيان ما أمكن ذكره ففي بقية فصول هذا الكتاب المختصر ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الأصل الذي سبق ذكره فنقول :

أعلم أن شيخنا رحمه الله لم ينشأ كما نشأ عامة أهل الخصوصيات ومن سبقت لهم من الله السوابق ؛ وصدقتهما اللواحق ؛ ولكنه ظهر له من حين نشأته أمور تشير إلى ماهيته له من التقريب والتخصيص والمواهب ؛ فهو من المخصوصين الذين حفتهم العناية ، وأنعم عليهم بنور الهداية . ومنحوا صفاء الروح وطهارة السرّ وزكاة الفطرة من عهد الطفولة . وكان من ذوى الأرواح الطاهرة الدراكة الغالبة على أجسادها من أول أمرها . ثم ضوعفت أنوارها وأسرارها وفتوحاتها بالمشاورة على العلوم ؛ والاقبال على صالح الأعمال . ودوام الطاعة والعبادة وصدق التوجه إلى الله وتعلق قلبه بالله واستغراق همته في ذلك طوال

عمره المبارك حتى توفاه الله على ذلك ، فأكمل الله له العلم الظاهر قرآنا وتفسيرا وحديثا وفقها وما يتعلق بذلك من العلوم الآلية ، والعلم الباطن من علم السير إلى الله وسلوك الطريقة وآدابها وأخلاقها ، والعمل بالعلم والمثابرة على وظائف العبادات والذكر وتلاوة القرآن . وسائر ما يقرب إلى الله تعالى وما يصل إليه العارف بالله من المعارف والأحوال . فأكمل الله له بذلك كله أسباب التصدر في محراب الدعوة إليه . وإرشاد العباد إلى القيام بحقه . وجمعهم عليه وتحييب الله إلى عبادته وتحييبهم إليه .

* * *

فأول ما ظهر عليه من صفاء الروح والاستعداد للمعرفة أنه « كما أخبرني » يذكر اليوم الذي ختنوه فيه وهيئة المكان والرجل الخائن والغداء الذي قدم له قال ودخل جدى عبد الله بن علي إلى المكان المذكور وهو يحمل بين أصبعيه أى الإبهام والسبابة حرفا يعطيه للخائن أجرة له فوضعه في شق صغير في الجدار ثم نسيه وبعد تمام العمل أخذ يبحث عنه وطال بحثه حتى تذكر أنه في الشق فأخذه وأعطاه الخائن ، [والحرف قطعة نقد من ضرب الين أقل من نصف درهم] .

قال صاحب الأصل في نبذته (الباكورة الجنية) المطبوعة في آخر الجزء الرابع من جامع كرامات الأولياء :

ومن كراماته أيضا قوة إدراكه في سن الطفولة إدراكا خارقا للعادة . قال رضى الله عنه إني أذكر الآن ما وقع لي بعد ميلادى فأذكر اليوم الذى ولدت فيه واستحضره تماما وأعرف الرجل الذى ختننى فى سابع أيام الميلاد وأتخيل الحاضرين والمنزل الذى هم فيه وغدا هم فى ذلك اليوم (قلت) وهذا شيء لم يعرف لغيره رضى الله عنه وغاية ما بلغنا فى هذا النوع ما حكى عن سيدنا الإمام

العارف بالله على بن الحسن العطاس صاحب المشهد الشهير أنه كان يذكر بعض حالاته أيام رضاعه انتهى .

(قلت) أمّا تذكر وقت أيام الرضاعة فإني أذكر عدة منازل وحوادث وأشخاص وأنا في سنّ الحولين وذلك ثابت في خيالي إلى اليوم ثبوتاً أوضح من أكثر ما علمته بعد ذلك . وقد روى عن إياس بن معاوية صاحب الفراسة المشهورة أنه سمع ليلة ولادته رجّة فلما سأل عن ذلك بعد كبره قيل له إن طستنا سقط من أعلى الدار إلى أسفلها فأحدث رجّة شديدة .

ولكن ابن الثريا من الثرى إن ما وقع لشيخنا أمر عال بعيد الغور فانه احتوى على إدراكات ومعلومات وعلل حوادث ونوع أكل ميّزه ونقد صغير عرفه في اليوم السابع لميلاده وعرف أن ذلك الطعام غداء للرجل وأن النقد لأجرته وغير ذلك وكلها إدراكات دقيقة إنما كانت بقوة روحه الكبيرة وبإمدادها بذلك لجسده الشريف حتى ثبتت في ذاته وتمكنت منها وذلك كالارهاص لما سيؤتاه من مواهب الله فيما بعد .

وله في سن الصغير نظائر لذلك قال لي إني كنت أميز الدار التي فيها حائض في صغري .

قال في الأصل . وقال نفع الله به كانت تطرقني الطوارق بالحوادث قبل وقوعها أذكر أي كنت يوماً وأنا ابن سبع سنين مع جملة من الصغار في الشارع فالتقي في سرى أن فلانا من أهل البلد توفي فأخبرت الحاضرين حولى فلم يصدقوني فمكثنا قليلاً فإذا هو ينمى في بيته .

وكان يسمع الهواتف الربانية ، ويرى الأجرام النورانية والملكية والهياكل الروحانية تتطور وتقع على رأسه أحياناً على أشكال شتى ويخاطبها وتخطبه .

قال وكنت وأنا صغير أرى الطيور الخضر تمر فوقى (قلت) وهى كناية عن الأرواح الزكية .

وقال نفع الله به كنت فى إبان الصغر أعرف الأشياء وأدركها بالحواس الخمس كلها يعنى اللمس والذوق والسمع يعنى أن كل حاسة منه أعطيت قوة الحواس الخمس كلها بأسرها فى غيره انتهى ملقطا .

(قلت) يعنى يسمع مما يبصر به وعكسه وهكذا فى بقية الحواس وسيأتى أنه يبصر نص المسألة المكتوب بوضع اصبعه عليه وقد عجز عن العثور عليه البصراء مع الطلب والحرص .

وتبادل الحواس إنما يحصل بعد الفتح فأكرم به شيخنا من صغره عوضا عن فقد بصره . فسبحان الرحيم الفتاح العليم .

وهذه الأمثلة التى ذكرناها تدل على قوة روحانيته وامتيازه رضى الله عنه بخصوصية فى ذلك .

ولعل من نتائج ذلك الوقائع الكثيرة التى وقعت له فيما بعد من اجتماعاته بالأرواح البرزخية فما سمعنا بأحد كان له ذلك الذى وقع له ، وأكثر ذلك فأت بعدم التقييد والكتابة . ولو حفظ أصحابه الأولون ما سمعوا منه لاجتماع شيء كثير فيه علم نافع مما يتعلق بالأرواح وشؤونها بل كان يقول : كانت الأرواح فى بدايتى تأتينى كالوفود وفدا بعد وفد وكان يحكى مرور بعض أرواح الموتى به عقيب انفصالها من جسدها أو مرور الملائكة بها فسألته إلى أى جهة ترونها تذهب بها فأشار بيده إلى جهة القبلة ، بل حكى لنا اجتماعه فى واقعة ببعض أرواح برزخية لم تنزل بعد إلى أجسادها .

قال لى سيدى الحبيب مصطفى بن أحمد الحضار العلوى الحسينى فى شأن ما جمع من كلام شيخنا إنما أدركتم الحبيب أحمد بن حسن وهوفى أوان الشيخوخة التى يضعف معها كل شيء ولو أدركتم أيام شبابه إذ كان يأتى إلى والدى

أحمد بن عبد الله البار وما كان يفتر في المجالس أى من علوم الإشارة والعبارة تلك الأيام وينهمر مثل المطر « أى لحفظ علم كثير » .

* * *

وبالجملة فقد كان الاستعداد القوى والتهيئة الأهمية والفطرة الزكية التى فطر عليها - لأمر عظيم وهو تلك الخصوصيات التى ظهرت عليه من أوان تمييزه فما بعده .

وقد حكى صاحب الأصل عنه قال : فتح على وأنا أقرأ سورة المؤمن فى مسجد فرج ، ومسجد فرج ببلد شيخه الحبيب العارف بالله صالح بن عبد الله العطاس ويظهر أن ذلك وقع له رضى الله عنه قبل البلوغ أو أوان البلوغ قبل سفره إلى الحجاز لأن ما كان يحكيه مما وقع له من الوقائع والمكاشفات هناك يدل على ذلك ومثلها لا يكون غالبا إلا لمفتوح عليه ولا سيما أنه وقع لشيخه غوث زمانه الحبيب أبى بكر بن عبد الله العطاس أنه استشار النبی صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر فقال له سيأتيك الاذن أوقال الإشارة على يد بعض أولادكم . ولا يحيل النبی صلى الله عليه وآله وسلم قطبا من الأقطاب فى الإذن على محبوب . وقد حصل لشيخنا ما يحصل المرادين من عباد الله فى أول عمره والحمد لله وحده .

ومن ذلك أنه ابتداء فى الأخذ عن مشائخه وسنه خمس سنين فحفظ عنهم ما ذكره صاحب الأصل وأن عناية الله ترعاه فى صغره فإذا امتنع أحد من أهله عن مطلب له أصيب بمغص ولا يذهب حتى يعطيه ما طلبه ، وكان فى أعباءه مع أقرانه الصغار يتصرف تصرف البصير القوى البصر بل ويرحل وحده إلى المواضع التى لم يسبق له إليها سفر ولا له بها معرفة بغير دليل مع صغر السن .

* * *

ولما بلغ أوان التمييز وقرأ القرآن لزم شيخه الحبيب صالح بن عبد الله

العطاس والحبيب أبا بكر بن عبد الله العطاس فرحل إلى الأول إلى بلدة « عمد » واجتمع معه اجتماعات أخرى في « حريضة » وسمع عليهما بعض الكتب كما سيأتي وكان ذلك مع شغف شديد بالعلم وميل قوي إلى أهل العلم والصالح فكان مع صفر سنة يلزم من ورد إلى بلده منهم ويغتنب به ويتشبه بالكون معه ويدخل في عداد الآخذين عنه .

قال رضى الله عنه في سياق حكايته لنا ما كان عنده من تعظيم الواردين منهم : كانت قلوبنا مملوءة بالتعظيم والاحترام لمن يرد من السلف إلى البلد كالحبيب العلامة محمد بن علي السقاف نرى كأنما ورد علينا بوروده نبي وقد شغف حبا بشيخه الحبيب العارف بالله صالح بن عبد الله العطاس حتى أنشأ قصيدة باللغة العامية يمدحه بها فقال له الحبيب صالح ما نريد منك أن تتعلق بالشعر ولكن اقرأ القرآن ثم ستأتى بعد ذلك بشيء من الجراب وشيء من الكتاب . فكان يلزم شيخه المذكور إذا جاء إلى « حريضة » .

وفي بعض المرات عاد الحبيب صالح إلى بلده من غير علم شيخنا فلما علم ركب الطريق ليذكره بغير دليل ولا قائد . وشعر الحبيب صالح بذلك فقال لمن معه ألا تنظرون أحدا خلفنا فنظروا وقالوا ما نرى أحدا ثم سألهم ثانيا فقالوا نعم هذا ولد صغير مقبل علينا فقال هذا أحمد بن حسن فوقف له حتى وصل فأردفه خلفه إلى بلد قريب ثم أعاده بعد تطمينه .

سفره إلى الحرمين الشريفين :

وعزم في حياة شيخه السفر إلى الحرمين في سن البلوغ أى في حدود سنة ١٢٧٤ هـ للحج ثم في سنة ١٢٧٥ هـ لتجويد القرآن وطلب العلم ومكث بهما إلى ما بعد سنة ١٢٧٩ هـ فكان مكثه لطال العلم هناك خمس سنين ثم عاد إلى وطنه وسنه في حدود إحدى أو اثنتين وعشرين سنة ، فكان وهو في عنفوان شبابه شيخ

الشيوخ وقد نبه لذلك شيخه الحبيب أحمد بن محمد المحضار في إجازته له سنة ١٢٨٢ ف فيها يقول : حتى وصل هذا السيد إلى مقام أهله ، والجميع شهدوا بفضله وكمال عقله ، فنشّط النفوس ودعاها إلى حضرة الملك القدوس . وحام حول الأودية يطلب الأدوية ، يطوف في أكناف البلاد ، يظن الناس أنه مرید وهو مراد . اهـ .

اجتهاده في العبادة :

وكان سيدي في بدايته كثير الاجتهاد في العبادة قبل سفره إلى مكة وبعد رجوعه منها وكانت له أوراد كثيرة ييسرها الله له ويمارك له في الوقت حتى يعجب السامع كل العجب من تمكنه من الاتيان بها في ذلك الوقت القصير .

نمت عنده ليلة سنة ١٣١٨ فقام مع دخول الربع أو الثلث الأخير من الليل تقريباً فتوضاً وصلى فأطال حتى حضرت القهوة فأخذ في تلاوة أذكار طويلة وتكرير الأسماء الحسنى يسبح أو يهلل أو يحمّد أو يكبر عند كل اسم ثم اتبع ذلك بتسابيح وأذكار أخرى ، ثم أبتدأ يتلو القرآن بقراءة معتدلة فقرأ نحو خمسة أجزاء قبل صلاة الصبح . والقائمون في المسجد لا يقرءون في ذلك الوقت إلى أذان الفجر إلا نحو جزئين ونصف بقراءة مستعجلة .

عنايته بتحصل العلوم :

وله أغرب من هذا سيأتي ذكره في موضعه قال لي إنه كان هو والشيخ الصالح العارف أحمد بن عبد الله بلخير يصلون الوتر جماعة بعشرة أجزاء من القرآن ، وذكر في الأصل أن من أوراده خمسة وعشرين ألفاً من لا إله إلا الله وقراءة نصف القرآن في بعض اليوم .

وأما اعتناؤه بقراءة الكتب العلمية من تفسير وحديث وفقه وتصوف

وغيرها فلا نعلم أحدا من أهل عصره وقع له نظيره وقد عدد في الأصل بعض الكتب وهي شيء كثير كما سيأتي وإن كان بعضها قد قرئ عليه قبل اتصال الشيخ العلامة محمد بافضل مؤلف الأصل به لأنه اتصل به سنة ١٣١٦ ولكن ما قرأه هو عليه بعد ذلك وما قرأه غيره يدل على أن ما قرئ عليه في المدة الطويلة منذ عاد من مكة إلى السنة المذكورة ومقدار ذلك على التقريب لا يقل عن ست وعشرين سنة كان شيئا كثيرا يفوت الحصر .

وما كان شيخنا يصبر عن العلم ولا العبادة ولا الذكر فذلك غذاء جسمه وروحه . وما رأيت أحدا يصبر على سماع كتب العلم مثله .

ولقد كان إذا شغل بمحادثة ضيف أو وافد لا يحتمل ترك القراءة فكان يأخذ كتابا يضعه في حجره ويقلب صفحاته مع اشتغاله بالحديث معه شغفا بالعلم وكتبه ، فقد كنا نبتدىء بالقراءة أول النهار ونستمر عليها الساعات ومن جاء إلينا انتظر فإذا ملّ ذهب وكنت أجلس معه في ظل داره فإذا ذهب الظل تحولنا إلى جانب آخر حتى يحين الزوال .

ومع هذا فكان كثيرا ما يحزن ويتلهف على صفاء القلب وانسراح الروح الذي كان عنده قبل سفره إلى مكة ويقول ما معناه : كان معنا صفاء وطيبة قلب على ما كان عليه أسلافنا فلوتركنا لكان وكان ، يذكر ذلك متلهفا متشوقا كما يعرض للعارفين من حنينهم إلى أيام البداية والتفرغ للقبال والمجاهدة بعد رجوعهم إلى إرشاد الخلق ومعاوناتهم بعد إظهار الله لهم لنفع العباد ، وهم في حالهم هذه أعظم مقاما مما مضى .



وبالجملة فإن طلبه للعلم وتعمقه فيه كان مكلا لفطرته الزكية ، و صفاء روحه وسببا موصلا إلى انطلاق لسانه بالإشادة والابانة عن الحقائق العلمية والعرفانية

وتمام تأهله لدعوة الناس وسياستهم والقيام في تأليفهم وإصلاح ذات بينهم ووضع الأمور مواضعها ، ولو لم يكن في تعمقه في العلم الظاهر إلا تبينه لأهله وإرشادهم إلى كيفية الاستفادة من كتبه ، وحسن الفهم للوقائع لكفى . قال لي مرة ما معناه إن الكامل هو الذي يعرف المعنى في الصورة ، والصورة في المعنى . وهو يشير بذلك إلى مقام عال ومن عرف كيف يرى العلم نورا أو لبنا أو مثالا أو صورة فهم ما يشير إليه .

* * *

أخبرني مرة بواقعة له : عرف منها أن السيد أحمد بن حمزة العطاس سيموت وكان بسيون قال فقلت للأخ علي الحبشي أتريد أن تصلي على أحمد بن حمزة فقال نعم . فقلت له هيا . فخرجنا ليلا من « سيون » فلما وصلنا « العروش » سمعنا الناعي أقبل من « وادي عمد » وبكرنا مع الناس وحضرنا الصلاة عليه ودفنه وكان في تلك الواقعة التي وقعت اسيدى مثل (بضمين) أو صور كما كان يعبر رضى الله عنه فقلت له ما معنى هذا وأى شيء في هذا يدل على أنه يموت ففسرها لي فرأيت أمرا معقولا يشبه تأويل ذبح الابن بذبح الكبش في قصة خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه . فكتبت ما أخبرني به جميعه في دفتر صغير كنت أعده للكتابة الأولى لما يقوله قبل عرضه عليه فيما بعد وتبليغه . فلما قرأته عليه امتعض وغضب وزجرني وقال لي مثل هذا لا تكتبه إذ لا ينتفع الناس به وما هو إلا مثل سيل مر فسقى ما سقى وذهب وليس في ذلك قدوة ، ومن سمع هذا هل يقدر أن يحدث لنفسه مثله اكتب ما فيه قدوة وتأس فهو سمعت أن فلانا كان يقرأ كل ليلة مقدار كذا من القرآن أو يصلي كذا وكذا لك أن تكتبه إذا كان يمكن سامعه أن يفعله إذا وفقه الله « هكذا معنى كلامه ربما زده أنا بيانا » بل قال لي إن مثل هذا إذا قرأته على ثانيا أشم له رائحة عقنة إشارة منه إلى ما فيه من المنع والخرج ، وشيخنا مأذون له في إخبارنا وإبنا نحن

الذين لم يؤذن لنا في كتب ذلك وتخليده فنفهم ، وقد قال في الأصل عن الحبيب
الامام الكبير عيروس بن عمر الحبشي إنه يعنى شيخنا من الأولياء المطلقين
وأنه مأذون له في إظهار ما كتبه غيره أنتهى .

تمكين من علم الظاهر والباطن .

وبالجملة فإن شيخنا قد ازداد تمكينا بعلم الظاهر في علم الباطن الذي هو
التحقق بالإيمان واليقين والمعرفة الخاصة والكشف الصادق فأمر بالعود من
مكة إلى حضرموت في وقائع روحية وقعت له ومرأى منامية لبعض أسلافه
وكان شيخه سيدى أحمد زينى دحلان لا يريد مفارقتة قال سيدى إني قلت لبعض
أولئك الذين يترددون إلى قولوا للشيخ فليأذن لي فوقعت لشيخه واقعة اقتنع
معهما بسفره فأذن له في ذلك فجاء إلى حضرموت كالغيث الأرض المجذبة فاستقر
بها إلا ما كان من سفره للحج وللمصر . وقد كان نورا للبلاد بل شمسا ضاحية
فيها ، وبه وجدنا أنسا في الطلب للعلم وتجيذا واهتبا لا واحتفالا كما وجد غيرنا
ممن وجهه الله لطلب العلم على حين يرى أكثر الناس ذلك منهجا أدنى . ويرون
في الجاه والمان المقصد الأعلى . وكان رحمه الله تعالى إذا جاء إلى بلادنا فأول
ما يسأل عنه بعد اجتماعنا به ماذا جدلنا من الكتب السلفية فإذا أخبرناه فرح
منا وأنهمض هممنا وهكذا كان لغيرنا من طلبة العلم .

وكان يقسم أوقاته بين قراءة كتب العلم وإقامة المدارس وتلاوة القرآن وإقامة
الجماعة ومواصلة الأوراد وإدامة التهجد وقيام الليل حتى كان لا ينام منه
إلا نحو ثلاث ساعات كما أخبرني عن نفسه وكما شوهد من حاله . وهكذا كان
شيخنا العابد الساجد الحبيب طاهر بن عمر الحداد ، وإذا كان في بلده حريضة
يخرج إلى المسجد قبل الفجر بمدة فيصلى ماشاء الله ، ثم يشرب قهوة كان

بعدّها له المؤذن ثم يقرأ خمسة أجزاء من القرآن فإذا طلع الفجر قام إلى الصلاة وأتى بعدها بأذكارها مع الحاضرين ثم عاد إلى تكملة أوراده ولا يخرج من المسجد الا بعد صلاة الاشراف فيعود إلى البيت فإذا ضحى النهار جلس لقراءة الكتب النافعة كما كان يجلس لقراءتها عشية إلى المغرب .

بذل جهده في الإصلاح بين الناس .

وإذا علم بفتنة بين السلطان والقبائل أو بين القبائل أنفسهم نهض في إطفائها ورحل إليهم وبذل جهده حتى تنطفئ النائرة ، وتهدأ الثائرة وكان يحلم عن عجرة الجهال وذوى الحق منهم ويداريهم ولا يجيب جدلهم إلا بما يسكن غضبهم حتى يصلح حالهم . وما كان يبالي بتعنتهم ولا باتهامهم له إذا لم يوافقهم على أهوائهم بل يسعى فيما يصلحهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون .

كانت قبائل «نهـد» قد سكنت عروض الكسر من أعلى وادى حضرموت في أول القرن السابع بعد حروب بينهم وبين سكانها الأولين وصار لهم بهقري وحدائق نخل بالحرّة وأشجار من السدر يستعينون بها على معاشهم وكانت بينهم ثارات وحروب وترات قديمة وحديثة تبادت بهم حتى أدت إلى إخراجهم جانباً من الساقية التي تسقى نخيلهم إذا جاءت السيول فصار الماء يخرج من الموضع الحرب إلى الوادى الأكبر وأشرفت نخيلهم على الهلاك فسعى شيخنا لإصلاح أمرهم وأقام بينهم صلحاً في القرث خمس سنين (والمراد بالقرث عندهم وعند بوادى حضرموت كلها كل ما يقوم بالدراهم وضده الدم وهو القتل وفيه ثار ولا بد) ثم أراد جمع أمرهم على إصلاح ساقيتهم فكان فيهم من لا يجد نقداً يسلمه لذلك ومن يجد نقداً ولا يسمح به فلما أعيا أمرهم عرض عليهم أن يقوم هو بإصلاح الساقية وعمارتها فيستدين لذلك على أن يوفوه من ثمر النخل كل سنة عِدداً

من كل نخلة وقد روى لوفاء الدين أخذ ذلك من خريف سنتين . فاستدان لذلك
ألوفاً وجمع عمالاً وجعل من يقوم بالعمل ويشارفه حتى عمرت وعادت كما كانت
فارسل مندوبه عند أول خريف فسمحوا بما عاهدوا عليه فاجتمع منه ما قضى به
جانبا من الدين بعد بيعه فلما كانت السنة الثانية امتنع بعضهم بخلاف بينهم
وثوائر وأحقاد . فذهب رحمه الله وكنت معه إلى قراهم . ومكث بها قريبا
من نصف شهر متنقلا من قرية إلى قرية جامعا لهم وناصحا فاجمعوا على التسليم
والتزموا به إلا قبيلة منهم في قرية منتبذة . فجاء إليهم سيدي شية يوم فاستقبلنا
منهم رجالان من كبارهم وأنزلونا في بيت من بيوتهم . وابتدأ شيخنا في الحديث
معه في تأليف الشمل والاجتماع على ذلك الأمر المحمود والوفاء بما عاهدوا
وواعدوا . فكان الجواب منهم يتكرر في غاية من الجفاء والخشونة وكلما زاد
شيخنا في القول بالتي هي أحسن زادوا هم في القول بالتي هي أسوأ وكانوا كلما
أغلظوا في الجواب لم يعرج على ذلك بل يستمر على أسلوبه الحسن فعاد وعادوا
مرارا حتى آذنت الشمس بالغروب ولم يستجيبوا فنخرجنا وما أظهر غضبا
ولا خاشنهم ولا أجابهم إلا بالحسنى كلما أساءوا القول . وما تهددهم ولا دعا
عليهم ولا ذكرهم بعد ذلك بشيء . وكنت أكاد أنميز من الفيظ وأعزم على
الرد عليهم ومجادلتهم . بمثل ما يقولون ثم أرجع إلى نفسي فأقول ربما أفسد
على سيدي أمرا يحاوله فاتصبر حتى انقضى المجلس . فنخرجنا من قريتهم وقد
أقبل الليل فما آوونا ولا عرضوا علينا ذلك كما يفعل كرام العرب . وما رأيت
على سيدي تأثرا من فعلهم . وكانت العاقبة عليهم والعقوبة من الله لهم كافية .
فقد جاءت الحمى إلى قريتهم فأخذت رجالهم وأوهنت قوتهم فبعدا للقوم
الظالمين .

اتصلت بهذه القضية قضية أخرى بل قضايا أربع من الفتن سعى رحمه الله

تعالى في إطفاء نارها وتلييد عيارها . فلفؤخر ذكرها إلى موضع آخر إن شاء الله تعالى . والمقصود التعريف بصبره على تحمل المشاق وعماد ذوى العناد في سبيل إصلاح ذات البين وسعيه الشديد في العمل بقوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقوله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) .

تغلة من المأكولات :

وكان رضى الله عنه يقتصر من القوت على ماقل وخشن ، وكان لا يميل إلى المأكولات الدسمة ولا الألوان المختلفة ولا مايطبخ بالأفاويه وإنما يقتصر على أكل قليل من الأرز أو حبز الدرة وقلما كان يأكل اللحم وقد يقتصر على تناول قطعة صغيرة منه جيرا لبعض الناس . وإذا عرض عليه على المائدة يقول دعوني آكل طعاما أولا ويعنى به الخبز أو الأرز فاذا أخذ من ذلك مقدارا وهو لا يكون إلا قليلا وقف فاذا عرض عليه اللحم ثانيا فقد يضع أصبعه عليه ويرفعها ويقول اكثفت وقد يجير صاحب البيت بأخذ مضغة واحدة .

نحمر وصبره ونشاط في العبادة :

والأمر الذى كنا تعجب منه ولا نزال نتذكره إلى اليوم أنه كان مع قلة مايتعاطاه من الطعام ظاهر الدم والصحة نشيط البدن ولا سيما للتلاوة والصلاة والتهجد وقراءة الكتب ومجالس الإصلاح بين الناس ومجامع الدعوة إلى الله وكنا نسافر معه الشهر فأقل وأكثر فما رأيناه تحول عن عادته في الطعام . ولقد كنا نسافر معه ونحن شبان وهو في عشرة السبعين ففسر غالبا من الساعة الأولى أو الثانية من أول النهار إلى ما بعد الزوال ، وقد يكون في موسم الصيف فكان يركب على فرسه أو ناقته منتصبا بيده خطامها أو عنانها وباليدي الأخرى

المظلة منتصبه فلا يزال على ركبته لا يتزعزع عنها ولا يضطرب وما رأيناه
ارتفع من طول السير ولا ثنى رجلاً ولا حنى ظهراً بل يبقى كما هو منتصباً
ولا يشرب أثناء السير ولا يشكو عطشاً . ونحن في سنّ الشباب نرتفع
من طول السير ونحوّل أرجلنا على الدواب ذات اليمين وذات الشمال وتارة
نأخذ المظلة فإذا تعبنا أطبقناها وإذا صادفنا ماء أثناء السير استبقنا إليه ، فنشرب
في أثناء الطريق مراراً . فإذا وصلنا منزلاً كان أول مانطلبه الماء . وإذا عرض
عليه لا يشرب بل يجلس متسائلاً مع أهل المنزل مقبلاً عليهم يأخذ خاطرهم
ويتحدث معهم حتى إذا مرّ نصف ساعة أو نحوه طلب الماء فشرب مقتصداً
وقد لا يشرب ، طلب مرة ماء ليشرب على خلاف عادته ثم قال إني أعجب من
هؤلاء كيف يشربون كثيراً حتى وقع لي البارحة أني أخذت فوق عادتي من
الطعام فلذلك احتجت للشرب وفهمت العلة في كثرة شربهم ، وكان اللحم
يطبخ في بيته فلا يأكل منه ويقتصر على ما يعتاده حتى في اليوم الذي يحتجم
فيه ، احتجم مرة واللحم موجود فلم يمسه ولم يشرب مرقاً بل اكتفى بأكل
دَجْر^(١) أعدّه ومالا حظناه في شأن صحته مع تقلله من الأكل وترك المغذى
عنه قد لاحظته غيرنا حتى لقد قال الحبيب الإمام العارف بالله علي بن محمد الحبشي
إنما قوت الأخ أحمد بن حسن هو القرآن أو كما قال .

وأحسب والله أعلم أن لقوة روحانيته التي تقدم شرحها أثراً في ذلك
والله أعلم ، وللسرور وقرّة العين أثر عظيم في الصحة والنشاط وإنما سروره
وقرّة عينه بطاعة الله وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « جعلت قرّة عيني
في الصلاة » .

ولقد كان رضي الله عنه من الصبر والرضا والتسليم لجاري القضاء بالمقام

(١) الدجر : مثلته اللوبياء كالدجر بضمين .

الأعلى سواء كان ذلك في الأعراض البشرية أو مالا يخلو عنه من تمت نعمة الله عليه من حسد الحاسدين وكيد الكائدين . فقد كان من حاله أن يبقى في ذلك مع صفاء سره واطمئنان قلبه إلى كفاية ربه ففهما فاجأه شيء من ذلك نراه كالذي يطرده عن نفسه ويمنعه أن ينفذ إلى قلبه ويسرع بالاستغفال عنه بحديث أو قراءة علم أو ورد . فكنا نعرف منه ذلك ثم يستمر كأن لم يحدث شيء . وقد يرفع طرفه إلى السماء يدعو الله ويرد الأمر إليه ثم يعود مطمئنا إلى كفاية الله فما كان شيء في العالم أعزَّ عنده من قلبه ووقته وعمله وإقباله الذي مازج قلبه وقالبه واستمر عليه من صغره إلى كبره إلى وفاته ، وكان يستهين بألم الجسم حتى كأنما هو في جسم إنسان آخر .

جاء مرة إلى بلادنا في آخر رجب فبات في بيتنا وأمرني أن آتي إليه في الرابع أو الخامس من شهر شعبان قال إنا نريد السفر إلى حضرموت لحضور زيارة نبي الله هود صلوات الله عليه ففدا من عندنا بعد الفجر وطلع المقبة عائداً إلى حريضة من طريق الجبل فنفرت فرسه من حيوان عرض لها ، وكانت رجله في الركاب فاحتكت بصخرة على جانب الطريق فانكشف جلد القدم إلى قرب الأصابع فلما جئت إليه على الموعد نظرت فإذا رجله واردة وجلدة القدم كالمرتفعة بما تحتها من الصديد . فقلت له هل بقيتم على عزمكم قال نعم . فقلت له : وكيف ذلك مع هذا الجرح . فقال : إنما هو شيء قليل هكذا قال ولو كان ذلك بأحدنا لركبته الحمى ولزم الفراش ولم يقم إلا بضعين ولم يش إلا بقائد . ففدونا معه منحدريين إلى حضرموت وهو واضع رجله المنتفخة في الركاب ولا يئن ولا يظهر منه تألم لا عند ركوب ولا نزول ولا مشي ولا طلوع درج منزل . وكما رأى أحد رجله استفطع الجراحة فيرد عليه إنما هو شيء قليل . فذهبنا مع الجموع للزيارة وحضر محافل الذكر والدعوة والزيارات لم يُخلَّ بحضور شيء منها ولم يرفه عن نفسه وما ظهر منه تضجر ولا تملل كأنما هي

رجل إنسان آخر ورجعنا بعد أسابيع إلى بلده وهي لا تزال جريحة وإن كان
نورم قد خف ثم من الله بالشفاء فله الحمد .

غرائب من خصوصياته .

ومن خصوصياته وقوفه على مواضع النصوص الفقهية وغيرها في الكتب
بعد عجز طلبه العلم عن العثور عليها وهذا متكرر مشهور عنه ، سمعت شيخنا
العارف بالله محمد بن طاهر الحداد العلوي الحسيني يذكر ذلك ويعجب من عنده .
جاء شيخنا مرة إلى « قيدون » وانهقد مجلس في بيت شيخنا محمد وحضره
جماعة من طلبة العلم ووقع البحث في مسألة مشككة وجاؤا بالكتب يبحثون عن
نص فيها وطال بحثهم فما وجدوا فتناول شيخنا كتابا ووضع يديه على أعلاه
ثم فتحه ووضع أصبعه على أحد أسطره وقال انظروا هذا فأخذ بعضهم من
يده فإذا أصبعه قد وضعها على نفس النص والمتصلون به يحكون عنه حكايات
كثيرة في ذلك فإنه يقع على الموضع المطلوب في الكتاب مع عجز أهل البصر
الظاهر عنه ولا غرابة فإن عين البصيرة أقوى من البصر الظاهر بدرجات لا تحصى .
ومن المواهب التي من الله عليه بها فتح حاسة الشم فتحا معنويا وهي حال
قد تقوى عند بعض أولياء الله حتى لقد يشم ما يمر به من الأرواح ويشم ريح
ولي مقبل أو في مكان خاص بل كان شيخنا يشم بعض الكتب السلفية في
بعض البيوت إذا ورد بلدا وقد يكون ذلك البيت من غير بيوت أهل العلم
بل يعرف الحل الذي سبقت فيه عبادة أو كان مقراً لصالح وقد أخبرنا بمواضع
سيكون فيها أناس من الأخيار أو ستعمر بالخير والصالح في المستقبل وظهرت
بواذر ما يقوّل في بعضها وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في محله .

رؤيته الخضرية النبوية مناما مرارا .

ومنها كثرة رؤياه للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حتى لقد تتكرر
رؤياه في الليلة الواحدة إلى سبع مرات .

خرجنا سنة ١٣٢٧هـ لزيارة حضرموت أنا وأخي المرحوم العلامة الإمام عبد الله بن طاهر واجتمعنا هناك بشيخنا ، وكان معه أحد كبار السادة مع جماعة له وسرنا لزيارة بعض السادات من آل شهاب في « دموق » القرية المعروفة قرب مدينة تريم . فبتنا بدار الحبيب المرحوم محمد بن عمر بن شهاب الدين والد الحبيب ذي الهمة المليمة والأخلاق المرضية . حسين بن محمد نزيل قرسى من بلاد جاوه والمتوفى بها . فكل منا نام في ناحية أما ذلك السيد الكبير فقد اختار مع جماعته أن ينام في الحوش وهو محل فسيح أمام البيت عليه حائط وباب طلبا لبرد الهواء ، وكان الموسم صيفاً ، وكانت بتلك القرية كلاب سود اعتادت دخول الحوش والطواف فكانت تدخل عليهم مرة بعد مرة وكلما طردوها عادت . فلما أصبحنا وأراد شيخنا زيارة بعض السادة أخذ ذلك السيد الكبير بيده عند خروجهم فأخذ شيخنا يكلمه بصوت خفي إني البارحة رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع مرات ، وكان ذلك السيد الكبير لا يترك النقطة إذا عرضت له فقال هكذا أنت بت ليلتك مع النبي ونحن بتنا هنا نطارد الكلاب السود فضحك السامعون .

وأخبرني الحبيب المرحوم الفاضل الصالح عمر بن طاهر الحداد رحمه الله تعالى أن شيخنا قال له : إني إذا عرض لي شك في حديث سألت عنه النبي صلى الله عليه وسلم . ولم تكتب مرأته له صلى الله عليه وآله وسلم ولو كتبت لكانت في مجلدات .

ومن مواهبه معرفته الكذب قال إني أراه يخرج من فم قائله كالدخان وكان يميز ما في المصنفات العلمية ، من الكلام وما صدر عن هوى أو تعصب أو غير ذلك وله في المصنفات العلمية والختار منها وما ينبغي أن يشتغل به الناس اليوم ارشاد كثير سنبجمله فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

خاقه وخلقه وبعض عاداته

أما صورته فكان مربع القامة مستدير الرأس سَبَطَ البدن ليس بالخفيف ولا البدن نشيط الحركة في تَوَدَّة ووقار . بعلو وجهه هيبه وجلالة ومجبة . يميل وجهه إلى التدوير في أنفه أحديداب قابيل وقنى ، ضليع الفم نقي الصوت فيه صَهْل ، إذا قرأ في الصلاة فجهر نفذ صوته وتغلغل إلى المكان البعيد في غير إزعاج وكان له في القراءة نغمة معتدلة غير متكلفة يميل فيها إلى الحذر مع الوقوف مع مقاطع الآيات والجمل . بحيث إن كثيراً من العوام نلوح لهم معاني ما يقرأ من حسن إلقائه وكان يقول إن فهم القارىء يسرى إلى السامع وعكسه وكان قد أحكم قراءة بالأنعام السبعة المعروفة ثم ترك ذلك وافتصر على ما ذكرناه . وقد يقرأ في الظهر بسورة السجدة أو تبارك وفي المقرب بأوساط المفصل والمرسلات ونحوها . وقال إني كنت في أيام القراءة بالأنعام كأنما كان القرآن محبوباً مشدوداً كالكرة بمعنى في عدم ظهور معانيه ومع ذلك فكان يلوم على عدم تحسين الصوت عند قراءة القرآن وسمعته يلوم بعض أهل البلدان في ذلك . ويقول لهم أتم إذا أنشدتم حسنتم أصواتكم فإذا عدتم إلى قراءة القرآن اتخذتم نغمة غير مقبولة .

وأما لونه فكان فيه أدمة تميل إلى حمرة خفيفة يكتسى وجهه ألواناً تناسب وجده وتأثره الباطن . وكان لطيف الإحساس يشعر بما لا يشعر به أكثر الناس ، وقد كنت أدخل معه بعض المنازل التي لا تزال طاقاتها مغلقة من الليل فلا يحتمل البقاء فيها بل يسرع الخروج وبأمر بفتح الطاقات فإذا تجدد الهواء دخل فتمعجب مما يشعر به أما نحن فلا نرى فرقاً ، عاش سليم الأسنان يقضم عليها حب البن إلى آخر عمره ، وكان بكثرت من أحد حبوبه مرات في أثناء مجلسه يُمدُّ له في كيس لطيف ويقول لا تقتدوا بي في هذا ولا في كثرة شرب

القهوة . وكانت القهوة إنما تصنع له قبل الشجر وبعد قيامه من القيلولة . وما كان يترك القيلولة حضراً ولا سقراً ولو لم يحصل له إلا السكون والاضطجاع ، ويقول إن لذلك تأثيراً في نشاط البدن ولو لم يحصل نوم . وقلمما يستعمل المسهلات ولا يميل إلى استعمال الأدوية ولا سيما الحادة منها ولكنه كان لا يترك الحجامه فكان يحتجم إلى آخر عمره وقد ناف على السبعين ، وكان تلميذه ذو العلم والفضل الحبيب عبد الله بن علوى العطاس يتحدث معه في وجوب تركها بل قد يتهدد الحجام في سرعة إتيانه كلما طلبه كأنه يشير إليه بطلب المعاذير وإقلال إخراج الدم . وكان نومه قليلاً نحو ثلاث ساعات سريع الإفاقة بأدنى حركة حتى لقد يؤثر عليه صوت نفس القريب منه فكيف بغيطه . وإذا كان في محفل احتبي أو جلس متربعا وقلمما يضطجع أو يتكى ، إلا إذا خلا المجلس أو كان به عدد قليل من الخواص ، وإذا تكلم رتل وأوضح .

وكان إذا حضره ذوو النفوس لاطفهم في أول كلامهم وسرهم ثم محض لهم النصيحة في غير عنف وإذا رأى من مبطل تماديا زجر وتكلم برفع صوت من غير تجاوز للمعهود عن كلامه مع بيان أن ذلك أصلح لهم وأحد عاقبة وإنما يسمى في صلاحهم . وما كان يفحش إذا غضب على أحد ولا يذمه ولكنه ينبه على العدل وموضع التقصير ويحدو إلى الإنصاف كل ذلك في معرض النصيحة والمطالبة بإصلاح النفس .

وكان قوى الفراسة يفهم أغراض الناس ولو أبعدوا في سترها بحجب المواربة وعرضها في صور بعيدة عن المقصد فيجتذ بهم إلى الصواب بلطف ولا يصرح لهم بما يخفون .

وكان شأنه في أمر دنياه ونفقته مبنياً على الاقتصاد في عدل يميل إلى السخاء من غير إسراف وأخذ بالاقتصاد من غير إجحاف ، أمره في ذلك مبنى على ملاحظة زمانه ومكانه وإمكانه مع الاعتماد على الله في ذلك والتجمل كل التجمل

فما رثي يشكو ضيقاً أو حاجة لأحد ولا يتحدث في شئونه المعاشية إلا قليلاً وقد استندان مرة أو مرتين فقضى الله دينه على يد بعض الموفقين من عباده . وما كان يستشرف إلى مثل حالة أحد الدنيوية ولا يغبطه عليها وما سمعناه أشار إلى مثل ذلك أو تحدث فيه . ولا تعجبه مظاهر الترف والفائق ولا تلائمه ولا يقدر على الصبر عليها . وإنما يميل إلى التوسط بل والتقشف ويفضل خبزاً مفتوتاً بالقهوة على ألوان الخبز المعمول بالسكر والكعك والعسل وغير ذلك . وقد تمد لأجله مائدة إذا نزل عند بعض محبيه مملوءة بأنصاف الأطعمة فلا يميل إليها ولا يشتهيها . بل وقد كانت تعرض له ولا سيما في بدايته ضوائق فلا يضيق بها ذرعاً . ولا يشغل بها وقتاً ولا فكراً ، ولكنه يتدرّع لها الصبر ويستبطن الرضا وينتظر الفرج . قال لي أصبحنا مرة يعني في أول أمره وليس في البيت شيء يؤكل . وخرجت لزيارة الحبيب عمر بن عبد الرحمن فوجدت على أرباع ضريحه أربعة أقراص حارة كأنما خرجت من التنور فحملتها إلى البيت فكانت طعامنا وكان إذ ذاك هو وزوجته قبل وجود أحد من الأولاد .

وقال لي إنني بعت حصتي من ميراث والدي بستائة ريال وابتدأت في بناء هذا البيت بها فأكملنا قصرأ منه ومكثنا كذا وكذا سنة ساكنين فيه ، وفيه نستقبل أضيافنا حتى فتح الله وتم بناؤه . وكان قد حصلت له إشارة نبوية بينائه . فأوسع في البناء لما يشعر به من حاجة إليه في المستقبل .

وإذا حضره أناس في حاجة أو زيارة أعطاهم فرصة في التحدث بما يريدون من ذلك ثم أمر من عنده من تلاميذه بالقراءة في الكتاب ويطيل ولا يَمَلُّ ليقطع الحاضرين من العامة عن الحديث الذي قد يكون فيه ما لا يرضى الله . وإذا كان في الكتاب ما لا يليق أن يسمعه العامة أمره بالسكوت أو إدراج القراءة حتى لا تكون لهم فرصة لتدبره وفهمه . وكان يحب أن يُعَدَّ في كل منزل ما تدعو الحاجة إليه من الكتب للمطالعة أو المراجعة فكان مُعَدّاً خرجاً

مملوءاً من الكتب في الفنون يحمله معه إذا سافر وفي بيته خزانتان للكتب .
 وجعل في غرفة مسجد الحبيب محسن الذي جدده خزانة مملوءة بالكتب وأخرى
 في الدار التي بناها بحريز . ويستعد يزداد للحاجة . فتش مرة خرجة المشار إليه
 ليجدد ترتيبه فوجد فيه ما كان قد أعدده منذ خمس عشرة سنة صحيحاً لم يتغير
 فأعطاه الحاضرين فأكلوه واستطابوه . وكان هو يَعدُّ كتبه ويرتب خزائنه
 ومتى أراد لإخراج كتاب من شيء منها وضع يده عليه من أول وهلة .
 ويركب في أسفاره الفرس أو البغلة وقد يركب ناقة وذلك قليل في
 آخر عمره .

ولباسه من القطن وعمامته منه ويستعمل قميصاً وجبة ورداء قد يكون من
 القطن وهو الأكثر أو من الصوف .

وكان يعتنى بحضور المحافل الإسلامية ويقوم فيها واعظاً ناصحاً . وإذا سار
 أجداً السير وأسرع .

وكان في دعائه في الأسحار وغيرها يعم به جميع المسلمين . وكذلك في
 أدعية الاستعاذة والتحصين والأدعية قبل قراءة الفاتحة . ويهتم بشئونهم .

وكان له مواضع يأمر بحرثها ومواضع أخرى فيها نخل يتجمل بها اعتنى
 في اقتنائها وشرائها شيئاً فشيئاً . وغالب أهل الجهة الحضرية ينظرون إلى من
 ليس له حرث بنظر استهانة وكان منصبه الديني والعلمي يأبى ذلك ويحب أن
 ينتفعوا به والعامّة إيمانهم في عيونهم ومطرح أنظارهم مظهر . وقد رأينا علماء
 وصلحاء لم يأبهوا بهم لذلك وهذا منهم طبع أكدته حالة البلاد ، فكان يكمل
 أمر الحراثة إلى من يكفيه فيها . وبعد أن كبر ابنه الحبيب « سالم » وكان
 ذلك إليه جملة كافية .

وكان رحمه الله تعالى أعدلاً لاهرائة عدتها كاملة بما لا يوجد نظيره عند

أحد من أهل الجهة حتى لا يحتاج إلى استعارة شيء من مواعينا أو آلاتها ولا يُثقل على الناس .

وكان أكثر ما يفرح بالحصول عليه القصب لإطعام دواب الأضياف والوافدين ولا سيما أيام الفحط وقلة الأمطار ولأنه لا يمكن جلبه من البنادر أو الهند كما تجلب الحبوب .

ومن عاداته أنه يجمع أكارع الأغنام التي يذبجها للأضياف فيجتمع منها طول السنة مئات . فإذا كان أول السنة أمر بطبخها مع دَجَر في قدر أو قدور عظام تم فرقها على أهل البلد يفعل ذلك كل سنة . وسيأتي ما يتعلق بصدقته من غلتها ونحو ذلك فيما يأتي .

الفصل الثاني

في فضل أولياء الله وتعريف الولي

قال الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وأخرج البخاري عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال عن الله تبارك وتعالى : « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالحاربة . وما ترددت في شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي للمؤمن بكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه . وما تقرب إلى عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تعبدي بمثل ما افترضته عليه » . وفي رواية للبخاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألتني لأعطينه وإن
استعاذني لأعيزه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي
المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .

قال الخافظ ابن حجر العسقلاني إن للحديث طرقاً أخرى عن عائشة أخرجه
أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي ، في الزهد ،
وأخرجه الطبراني وروى عن علي أخرجه الإسماعيلي في مسند علي ، وعن ابن
عباس وأنس وحذيفة ومعاذ بن جبل وقال إن هذه الروايات ضعيفة .

وقال السيد مرتضى في شرح لإحياء قلت رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى
والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد وابن عساكر من
حديث عائشة وساق الحديث بنحو ما تقدم . بزيادة قليلة وروى ابن السني في
الطب عن ميمونة بنحوه ، وروى من حديث أنس رواه ابن أبي الدنيا في
كتاب الأولياء والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء
والصفات وابن عساكر .

قال الخافظ السيوطي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء قال حدثنا
الهيثم بن خارجة والحاكم بن موسى قال حدثنا الحسن بن يحيى الخشني عن صدقة
الدمشقي عن هشام الكناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم عن جبريل عن الله يقول الله عز وجل « من أهان لي ولياً فقد بارزني
بالحاربة . وأني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحريد وما تقرب إلى عبدي
المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه . وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلى بالوفاء
حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمياً وبصراً وبدا إن دعاني أجبتة وإن سألتني
أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره
الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادي لمن يسألني الباب من العباد
فأكفّه عنه كراهة أن يدخله عجب فيفسده ذلك . وإن من عبادي المؤمنين

لَمَنْ لَا يَصْنَحْ إِيْمَانَهُ إِلَّا الْفَنَى يُولُوْهُ أَفْقَرُهُ لِأَفْسَدِهِ ذَلِكَ . وَإِنْ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يَصْلَحْ إِيْمَانَهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لِأَفْسَدِهِ ذَلِكَ وَإِنْ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يَصْلَحْ إِيْمَانَهُ إِلَّا الصَّحَّةُ وَلَوْ أَصْقَمْتَهُ لِأَفْسَدِهِ ذَلِكَ وَإِنْ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يَصْلَحْ إِيْمَانَهُ إِلَّا السَّقَمُ وَلَوْ صَحَّحْتَهُ لِأَفْسَدِهِ ذَلِكَ إِلَى ادْبَرِ أَمْرِ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِمْ إِلَى عَلِيمٍ خَبِيرٍ .

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ فِي تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى نَحْشَنِي بِثَلَاثِ طَرُقٍ إِلَيْهِ عَنْ صَدَقَةِ الدَّمَشْقِيِّ عَنْ هِشَامِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَنَسٍ بِطَوْلِهِ وَقَالَ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَمْ يَرْوِهِ عَنْهُ عَلَى هَذَا السِّيَاقِ إِلَّا هِشَامٌ وَعَنْهُ صَدَقَةُ تَفَرَّدَ بِهِ الْحَسَنُ . قَالَ الْخَافِظُ السَّيُوطِيُّ وَالْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ الذَّهَبِيُّ تَرَكُوهُ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ صَدُوقٌ سَيِّئُ الْخَفِظِ وَقَالَ دَحِيمٌ لَا بَأْسَ بِهِ قُلْتُ وَقَالَ أَحْمَدُ لَا بَأْسَ بِهِ وَقَالَ السَّاحِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ كَانَ ثِقَةً وَوَثْقَةً ابْنُ جَوْصَاءَ . ثُمَّ مَاقَاهُ الذَّهَبِيُّ فَقُلِدَ فِيهِ الدَّارِقُطْنِيُّ فَيَنْبَغِي التَّوَقُّفُ فِيهِ فَإِنْ حَالَهُ مَعَ الصُّوْفِيَّةِ مَعْلُومٌ كَمَا قِيلَ :

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمْرٍو عِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكَلْبِيِّ وَضَرْبِ الرِّقَابِ

وَذَكَرَ السَّيُوطِيُّ الْحَدِيثَ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَسَبَهُ إِلَى مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَقَدْ ذَكَرَ الْخَافِظُ ابْنَ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ قَوْلَ الذَّهَبِيِّ وَلَا أَظُنُّهُ فِي الْمُسْنَدِ ثُمَّ بَعَثَهُ بِقَوْلِهِ : (قُلْتُ) لَيْسَ هُوَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ جَزْأً ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ أَحْمَدَ أَخْرَجَهُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ وَنَكَرَ رَأَيْتُ فِي مُجْمَعِ الزُّوَائِدِ لِلْخَافِظِ الْهَيْثَمِيِّ نَسَبَهُ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ كَمَا سَيَأْتِي . وَقَدْ قَالَ إِنْ رَوَاهُ رِوَاةُ الصَّحِيحِ إِلَّا عَبْدُ الْوَاحِدِ وَثْقَةً أَبُو زُرْعَةَ وَالْعَجَلِيُّ وَابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةٍ وَضَعَفَهُ غَيْرُهُمْ أَهْلُ : فَيَكُونُ حَدِيثُهُ مِنْ قَبِيلِ الْحَدِيثِ الْحَسَنِ وَلَمْ يَتَفَرَّدْ عَبْدُ الْوَاحِدِ بِرِوَايَتِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ بَلْ تَابَعَهُ أَبُو حُرْزَةَ يَعْقُوبُ بْنُ مَجَاهِدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ فَسَاقَ الْحَدِيثَ ذَكَرَ ذَلِكَ السَّيُوطِيُّ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ قَالَ حَدَّثَنَا هَرُونَ بْنُ كَامِلٍ

فساق الحديث وعقبه السيوطي بقوله : قلت ورجال الاسناد رجال الصحيح إلا هرون ومراده به شيخ الطبراني وذكر بعده ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساق الحديث بنحو ما تقدم ثم قال وفي سنده على بن زيد ضعيف . قلت روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة أصحاب السنن .

قال الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تبارك وتعالى « من عادى لي وليا فقد استعمل معاربتى » قلت فذكر الحديث رواه البزار واللفظ له وأحمد والطبراني في الأوسط وفيه عبد الواحد بن قيس وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ورجال الطبراني في الأوسط رجال الصحيح غير شيخه هرون ابن كامل .

* * *

فقد تبين لك أن هذا الحديث صحيح لا مطعن فيه بتعدد طرقه وثقة رواقه وأما خالد بن مخلد فكل ما ذكره له ابن عدي من الأحاديث الغرائب عشرة ليس منها هذا الحديث والغريب قد يكون من أقسام الصحيح فيطلق على حديث الأحاد . وإنما ثقل على ابن رجب والذهبي معناه ومذهبهما في الصفات ومقامات أهل التصوف ومنازلاتهم معروف فتوها على أن الحافظ السيوطي نقل في فتاويه عن الموقظه : للذهبي قوله :

من أخرج له الشيخان أو أحدهما على قسمين أحدهما ما احتجاً به في الأصول وثانيهما من خرّجاه متابعة وشهادة واعتباراً . فمن احتجاً به أو أحدهما ولم يوثق به ولا غمز فيه فهو ثقة حديثه قوى ومن احتجابه أو أحدهما وتكلم فيه فتارة يكون الكلام في تليينه وحفظه له اعتبار . فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن الذي قد نسميها من أدنى درجات الصحيح فما في الكتابين بحمد الله

رجل احتج به البخارى أو مسلم فى الأصول ورواياته ضعيفة : بل حسنة أو صحيحة ، ومن خرّج له البخارى أو مسلم فى الشواهد والمتابعات فقيهم من فى حفظه شيء وفى توثيقه تردد فكل من خرّج له فى الصحيحين فقد قفز القنطرة فلا معدل له إلا ببرهان بين . نعم الصحيح مراتب . والثقات طبقات . انتهى كلام الذهبى ولعله يشير بآخر كلامه إلى مراتب الصحيح العشر التى ذكرها الحاكم فى المدخل قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : وفى حديث حذيفة من الزيادة ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبیین والصديقين والشهداء فى الجنة .

وأخرج الحاكم فى المستدرک بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكى فقال ما يبكيك يا معاذ قال يبكىنى حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الاتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة . هذا حديث صحيح ولم يخرج فى الصحيحين وقد احتجا جميعاً بزید بن أسلم عن أبيه عن الصحابة واتفقا جميعاً على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني وهذا إسناد صحيح ولا يحفظ له علة . قلت وافقه الحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرک فقال . صحيح ولا علة له .

وأخرج الحاكم فى المستدرک عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الشهداء والنبیون يوم القيامة لقربهم من الله ومجلسهم منه فجئنا أعرابى على ركبتيه فقال يا رسول الله صفهم لنا وحلّهم لنا قال هم قوم من أفناء الناس من نزاع

القبائل تصادقوا في الله وتحابوا فيه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(قلت) قال الحافظ الذهبي في تلخيصه . صحيح . واعلم أن هذا حديث جليل صحيح روى عن جماعة من الصحابة وله شواهد صحيحة في حديث المتحابين في الله بل هما حديث واحد اختصره بعض رواة . فقد روى من حديث أبي مالك الأشعري أنه جمع قومه قلت فذكر الحديث إلى أن قال . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه فقال يا أيها الناس اسمعوا وأعلموا أن الله عز وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم أنعمت لناحلهم لنا يعني صفهم شككهم لنا فسر وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال الأعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الحافظ الهيثمي رواه كله أحمد والطبراني بمنحوه وزاد على منابر من لؤاؤ قدام الرحمن ورجاله وثقوا ثم رواه عن أبي مالك أيضا أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد . قلت ترجمه في القول الفصل بما يزيل كل شبهة في ثقته ،

وقد أخرج هذا الحديث أبو داود وهناد وابن جرير وابن أبي حاتم

وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب
فذكره بنحو ما تقدم وقال فيه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إن
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير
وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة بمثله .

وأما روايته باختصار مسمى الآية فقد أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد
في زوائد المسند عن أبي سلم قال لقيت معاذاً فذكر الحديث وأخرجه ابن أبي شيبة
عن العلاء بن زياد رضى الله عنه وأخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي إدريس
الحولاني عن معاذ وعبد الله بن الصامت رضى الله عنه وقال : وهذا إسناد
صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الحافظ الذهبي على ذلك وذكره
بإسناد الصحيحين من طريقين آخرين وذكر له شاهداً . والآيات في محبة العبد
لله ومحبة الله للعبد ولبعض العاملين من عباده ببعض الأعمال الصالحة كالمؤمنين
والتوابين والمتطهرين والحسنين والمقسطين كثيرة وعدم محبته للعاملين بالأعمال
السيئة كقوله تعالى : والله لا يحب الظالمين والله لا يحب الفاسقين . كثيرة أيضاً
وكذلك وردت في ذلك أحاديث كثيرة صحيحة وحسان فيطلبها من
أرادها والله ولي التوفيق .

السبب في ذكر هذه الروايات .

وإنما أطلعنا بذكر الروايات وتصحيح الأسانيد لظهور أناس في هذا الزمان
يطعنون في الأحاديث الصحيحة جرأة منهم وقحة مع جهل ظاهر ودعوى
عريضة لمرض في قلوبهم وبدع اعتقادية طرأت عليهم . والعياذ بالله تعالى .

وقد رأينا بعض من تصدى لتفسير القرآن في عصرنا يحاول قصر معنى
الآية على العموم ونفي الخصوص فأطلعنا فيما ذكرناه لتبين أن الآية وإن صح
حملها على عموم المؤمنين المتقين فإن فيها تحصيلاً لأهل الخصوص فإن الإيمان
(٣ - عقود الأمان)

درجات ينتهي إلى اليقين الذي لو كشف الغطاء ما ازداد كما روى عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذلك التقوى .

ولا شك أن التأخي والتعاقب في الله بين أولياء الله وأهل الحق من الصوفية أظهر منه في غيرهم وهم الذين تجدون في علومهم آداب الصحبة والأخوة وما يعتمدونه من المحبة فيما بينهم وفيما بين المريدين وأشياخهم .

وقد روى في تفسير (إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أنهم الذين إذا رأوا ذكر الله روايات عديدة مرفوعة وموقوفة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسعد وأسماء بنت زيد لا تطيل بها .

وأخرج مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اغبط أوليائي رجل مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السرو كان غامصاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك . قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال عجنت منيته . وقل ترائه . وقلت بواكيه .

وأما حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره فهو حديث مشهور أخرجه مسلم عن أبي هريرة والحاكم والترمذي وأخرجه عن أنس الترمذي والحاكم وأبو نعيم وأخرجه عن ابن مسعود ابن أبي الدنيا والبخاري والديلمي وقوله لو أقسم على الله لأبره روى في حديث عند الشيخين عن حارثه ابن وهب وعند أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني عن حارثة والمستورد بن شداد ورواه الطبراني والضياء في المختارة عن زيد بن ثابت ورواه الطبراني من حديث معاذ وأحمد من حديث حذيفة والطبراني من حديث أبي الدرداء ورواه الطبراني في الأوسط عن ثوبان بسند صحيح ورواه الحرث ابن أبي سامة عن ابن عباس .

تعريف الولي

قال الحافظ ابن حجر في الفتح المراد بولي الله العالم بالله ، الواظب على طاعته ، الخالص في عبادته وقال الامام القشيري في الرسالة : فإن قبل ما معنى الولي قيل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فعلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره ويكون معناه من توات طاعاته من غير تخلل معصية . ويجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الادامة والتوالي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان وإنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى وهو يقول الصالحين انتهى .

والولي مأخوذ من الدنو والقرب في المكانة أو النسبة فيسمى القريب بأحدهما وليا ويطلق على الحب والصديق والنصير والمتولى تدبير الشخص أو الأمر والحكم ، ويوصف به العبد والرب تعالى . ويوافقه في أكثر معانيه المولى ويقال الله ولي المؤمنين وولاهم . والمؤمن ولي الله ولا يقال مولا . قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا . وقال تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . وقال تعالى : وهو يقول الصالحين .

وللعلماء تعاريف بألفاظ مختلفة وكأها تدور حول المعنى السابق وما جاء في القرآن والسنة فيه ما يُثلج الصدر ويُقر العين ، والإيمان الصحيح الثابت القوى الراسخ هو الأصل في هذا الباب . وعنه تنهض همه العبد وإرادته الصادقة وعزمه الجازم لاستكمال التقوى والقيام بحق العبودية والجد والتقرب إلى الله بما أمر به والسعى في مرضيه بأداء ما افترضه الله عليه من الأوامر فيؤديها كاملة مع الحضور وصدق الخضوع والتذلل والتعبد لله ناظرا إلى أمر ربه . غير مشغول بحظ نفسه ملاحظا مئة الله عليه فتقطع عنه الغفلة والعجب والرياء والاستشراف

الأجر لا اعتقاد أنه إنما يحصل من فضل الله كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة
فَيُخْلِصُ عمله لله صادرا عن كونه عبده فيكون تعبدا من عبد رِقٍّ . لآله حق .
أما أصل التقوى بامتنال الأوامر والانتها عن المناهي فيحصل من أول
الأمر لأنه لازم من لوازم الإيمان الصحيح وثمرته من ثمراته وكلامنا هنا في
استكمال ذلك فتأمل .

ان الأعمال الصالحة أجورا وأنوارا في الدنيا قبل الآخرة بزيادة الإيمان
والرغبة فيزداد العبد تعبدا وتذللا لله بنوافل العبادات من صلاة وصوم وذكر
وفكر . ويوفق الله العبد فيقيم على نفسه حارسا أن تلم به مفسدات القلب
الخبيثة وهي (التمني) وأصله الخواطر المترددة المتكررة فينتج التمني وعن التمني
تنتج الرغبة فمقارفة المحذور . (والخلطة) فانها تفرق الهم وتحل العزم وتورث
الفغلة وتدعو إلى تقليد الخليط والمرء من جليسه . (والتعلق بغير الله) فيقطع
العلاقة من رجاء أو خوف أو ميل . يمحو الخواطر والارادات (وترك الشبع
والاقلال من النوم) فيزداد إيمانه قوة^(١) .

وإذا جاء إبان محبة الله للعبد فإنه في الغالب يتقدمه أشياء كثيرة من
الأحوال التي تكون لأهل الخصوصية وهي مختلفة لا يمكن تعيينها لاختلاف
ما يمين الله به على أحد عبده وما يمين به على غيره . فقد يمين الله على عبد بشيء
منها هو غير ما يمين به على الآخر حسب مراد الله وما سبقت به القسمة التي
تظهر في الإعداد والإمداد وكل شيء عنده بمقدار .

وأما ما ورد في الحديث وهو قوله : فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
به الحديث . وفي رواية وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به وفي رواية
أخرى ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعائي فأجبتة وسألني
فأعطيته ونصح لي فنصحت له فقد فسر بعض العلماء بالحفظ عن استعمال

(١) نعل الأصل (والشبع والاكثار من النوم) فبتركها يزداد إيمانه قوة تأمل .

جوارحه في المعصية أي حافظا سماعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل وهكذا .
 والصواب أن الحفظ هو من آثار محبة الله له ، وقال ابن حجر المكي بعد
 أقوال : وحاصل ما تقرر أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم
 بالنوافل قرَّبه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله
 على الحضور والشوق إليه حتى يصير ما في قلبه من المعرفة شاهدا له بعين
 البصيرة فكأنه يراه فحينئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبته وعظمته ومهابته واجلاله
 والأنس به ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيره فلا تستطيع جوارحه
 أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلبه وهذا هو الذي يقال فيه لا يبقى في قلبه إلا الله
 أي معرفته ومحبته وذكره - إلى أن قال - وعند امتلاء القلب بمعرفته فينمحي
 منه كل ما سواه فلا ينطق إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره ، فإن نطق نطق
 بالله . وإن سمع سمع بالله وإن نظر نظر به وإن بطش بطش به انتهى .

أي فيصير نطقه وحركته إلى غير ذلك على موافقة الأمر .

وقال الإمام الحسين بن محمد الطيبي تلميذ الإمام السهروردي معنى قوله
 كنت سمعه إلى تمام الفصل أجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى يسلب منه الاهتمام
 بشيء لا يقربه إلى فيصير منخلعا عن الشهوات . ذاهلا عن الحظوظ والذات
 مقبلا بقلبه وإينما توجه إلى الله بمرأى منه ومسمع . لا تطرق حالته الغفلة ولا تحول
 دون شهوده الحجة . ولا يعترى ذكره النسيان . ولا يخطر بباله الأحداث
 والأعباء . يأخذ بمجامع قلبه حب الله فلا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه
 الله ويكون سبحانه في ذلك له يدا ومؤيدا وعونا ووكيلا ويحمي سماعه وبصره
 ورجله عما لا يرضاه ، وحقيقة هذا القول ارتهان كناية العبد بمراضى الله تعالى
 وحسن رعاية الله له وذلك على سبيل الاتساع . فإنهم إذا أرادوا اختصاص
 الشيء بنوع منه والاهتمام به والعناية والاستغراق فيه والوله والنزوع له
 سلكوا هذا الطريق قال :

جنوني فيك لا يخفى ونارى فيك لا تخبو
وأنت السمع والناظر والمهجة والقلب اه

منقولاً من كتاب ظهور الحقائق للحبيب المرشد الجواد عبد الله بن علوي
العطاس تلميذ شيخنا . قلت وهذا كلام في غاية الحسن وهو ثمرة محبة الله له
ومحبة الله له ثمرة تقرب العبد إليه وقد ذكر في الأحياء نحو ما ذكره الطيبي .

وأعلم أن محبة الله محرمة على من لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فلو أدى عبد الفرائض واجتنب المحارم وأكثر النوافل من غير محبة لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباع له فلا ينفعه ذلك ولا يدرك به محبة الله
تعالى . فهو محروم كل الحرمان من قوله في هذا الحديث «حتى أحبه فإذا أحبيته
كنت سمعه» إلخ الحديث فكل ذلك لا حظ له منه . قال الله تعالى (قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم
وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتى الله بأمره إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) .

وروى الشيخان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله . وأن يكره
أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار . ولاحظ في قوله : وإن يحب
المرء لا يحبه إلا الله ماورد في حديث المتحابين في الله الذي سبق ذكره .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس
أجمعين . وروى البخاري عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله

عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآن يا عمر ، وفي معنى التقرب ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شجرة تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة وأخرجه غيرها وهو حديث مشهور .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة . وقد حموا هذه الأحاديث على الإيمان الكامل الراسخ وسواء صح هذا الجمل أو لم يصح فإن ما نحن فيه لا بد فيه من الإيمان الكامل ، والمقصود أن التقرب بأداء الفرائض والاكتثار من النوافل ومحبة الله للعبد حتى يحبه لا يكون مع إيمان ناقض . ولكن الله إذا رحم العبد وعلم صدقه تفضل عليه بكمال الإيمان الذي لا يحصل إلا بما نصت عليه الآيات والأحاديث من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالوصول إلى درجة الأهمية بل جعل القاضى عياض ذلك شرطاً في صحة الإيمان وكلام الحافظ ابن حجر يميل إليه وقال الحافظ ابن حجر في قوائمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : أن تثنى الضمير هنا للإيمان إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فإنها وحدها لا غاية إذا لم ترتبط بالأخرى فمن يدعى حب الله مثلاً ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير إليه قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) فأوقع متابعتهم مكتنفة بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد انتهى .

والحديث يدل على أن سادات الولي ذنب كبير. توعد الله فاعله بالحاربة
وأن الله يعطي الولي ما سأل ويعيده عما استعاذ منه ، ذلك أصل في صحة
الكرامات .

أما محبة العبد لله فقد جعلها الصوفية من أعمال القلوب ومقاما خاصا من
مقامات الأصفياء وأكثرهم على أنها تكون بعد مقام العرفة . وعند بعضهم
بالعكس والأول أرجح ولعل المراد بالقول الثاني محبة دون محبة . وكذلك
جعلوا محبة الله لعبده صفة من صفاته لا تشبه محبة المخلوق بل هي كما يليق بجلاله
وقدس كماله وتنزهه عن الشبه في صفاته .

وللصوفية تعريفات المحبة كثيرة قليلا جمعها مرشد ذلك ولم أر فيما وقفت
عليه تعريفا أجمع مما عرفها به قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي
الحداد الشريف العلوي الحسبي فإنه قال :

ومعنى الحب لله تعالى ميل وتعلق وتأليه يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجذاب
الأقدس الرفيع مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى
لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا بمآزحه شيء من أوهام التكيف تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا .

وقد أشار رضي الله عنه بقوله وتأليه إلى أن تلك المحبة صادرة عن كونه
تعالى معبوده وإلهه كما يدل على ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فهذا حب التأليه
والتعبد والاستعانة والتضرع والخضوع والتذلل وسائر ما يكون من العبد للمتعبد
لإلهه ومعبوده الحق . وكذلك قال بعض السلف والصوفية إن حب الله للعبد
صفة من صفاته جاءت في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تؤمن
بها ولا تكيف ولا تشبه .

وبعض علماء الكلام فسروها في حق العبد بالطاعة وفي حق الله بإرادة إحسان

خاص لعبده فيفسرون قوله تعالى يحبهم ويحبونه . يحبهم أى يريد احسانا خاصا لهم ويحبونه بطيعونه . فقوله تعالى: أحب إليكم من الله ورسوله يتركب فيه أفعال التفضيل من معنى الطاعة لله والمحبة له صلى الله عليه وآله وسلم وفي قوله تعالى: والله يحب المحسنين أى يريد احسانا خاصا للمحسنين . فهذا منتهى نظر القوم فاختر لنفسك ما يحلو .

الفصل الثالث

في التنبيه على شبهات وأغلاط في شأنهم وقع فيها بعض الناس

اعلم أن الأغلاط الواقعة من علمة الخاصة أو عامة العامة في شأن الأولياء كثيرة يطول الكلام في استقصائها وبيان بطلانها مما لا يتسع له هذا المختصر ففقتصر على ما تحصل به الفائدة إن شاء الله تعالى وأكثرها يعود إلى الجهل بحقيقة حالهم مما أدى إلى إنكارهم أو الإنكار عليهم أو إلى الغلو فيهم أو الجهل بكيفية الانتفاع بهم ، والجهل بحقيقة حالهم قد يجيء بسبب عدم الاطلاع على النصوص القرآنية والحديثية وفيما سبق كفاية أو بسبب عدم إدراك معانيها كما ينبغي، ودواء ذلك العلم والاطلاع على سيرهم وما وقع لخواص الأمة من استجابة الدعوات وانكشاف بعض الأمور لهم مما يحصل لغيرهم وقد جاء في سير الصحابة والتابعين من ذلك ما فيه كفاية . ومن أغربها رؤيتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته مما عبر عنه المتأخرون بالاجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم يقظة . وذلك يكون بمعونة البصيرة الباطنة ونور خاص يمنحه الله عبده الصالح وقد رأيت للحافظ السيوطي رسالة في امكان رؤية النبي والملك أورد فيها نصوصا عامة ولكني بحمد الله وقفت على رواية صحيحة في وقوع ذلك لبعض الصحابة .

أما رؤية الملائكة فالأحاديث في ذلك متعددة وهو ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن ضمرة بن ثعلبة رضى الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال ادع الله لي بالشهادة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم حرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار قال فكنت أحمل في عرض القوم فيترأى لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفهم فقيل له يا ابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم فقال إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يترأى لي خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده ثم يترأى لي أصحابي فأحمل حتى أكون مع أصحابي قال فعمر زمانا طويلا من دهره ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد وقال اسناده حسن .

وكذلك اسماع الصوت وسماعه من البعد ومعرفة عين الشخص واسمه واسم أبيه بمعرفة الروح . وانطواء السير فوق المعتاد وغير ذلك مما اشتملت عليه كتب السفة والسير .

وقد يكون سبب انكارهم جفاء الطبع وكثافة النفس وظلام القلب أو استيلاء خلق الجبرية أو الكبر أو الرياسة الدنيوية أو الدعوى بالعلم الظاهر أو استيلاء الحسد أو كون الغالب على الطبع خلق الشر فيعادي أهل الخير عداوة الجنس المضاد أو استعظام ذلك واستبعاده بسبب الجهل بماهياً الله له عبده المؤمن من تحمل أسرار الايمان وما يكون لروحه من النور والآخر . وما ضمنه الله له من استجابة دعائه أو ابرار قسمه .

وقد يكون بسبب غلبة ملاحظة الإنسان للبشرية ومقتضياتها والغفلة عن الخصوصية أو تنسك الحال لأموار اقتضت ذلك . فقد يكون الولي لا يحب اطلاع الغير على ما عنده كما يكره الغنى اطلاع الناس على مقدار ماله فينكمش ويتظاهر بما يطرد عنه من لار جاء فيه ولاخيرية، قال نجم العرفان الشيخ أحمد بن المبارك الفاسي في مناقب شيخه الشريف قطب العارفين عبد العزيز بن مسعود الدباغ الادريسي الحسني الفاسي : وسمعتة رضى الله عنه يقول : إن الذين بالغوا في كرامات الأولياء رضى الله عنهم وإن نفخوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد اضرخوا بهم كثيرا من حيث إنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئا من الأمور

القائمة التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات حتى إن لواقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة وتصرفا على تصرف وكشفا على كشف توهم أن الولي لا يعجز في أمر يطلب منه ، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهرا فيقع في جهل عظيم لأنه يظن أن الولي موصوف بوصف من أوصاف الربوبية وهو أنه يفعل ما شاء ولا يلحقه عجز ، وبوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة .

والأمر الأول من خصائص الربوبية ولم يعطه الله لرسله الكرام فكيف بالأولياء قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ليس لك من الأمر شيء . أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) . وقال (إنك لا تهدي من أحببت . ولكن الله يهدي من يشاء) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم سألت ربي اثنين فاعطانيهما وسألته اثنين فمنعنيهما قال الله تعالى : (قل هو الله در على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فقلت أعوذ بوجهك الكريم . فقال : قد فعلت (أو من تحت أرجلكم) فقلت : أعوذ بوجهك . فقال : قد فعلت (أو يلبسكم شيعا) فقلت : أعوذ بوجهك فقال : قد سبق القضاء (ويذيق بعضكم بأس بعض) فقلت : أعوذ بوجهك . فقال : سبق القضاء . وقال تعالى في سؤال نوح نجاه ابنه من الغرق : (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) . وقال تعالى : (وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) .

والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا فلم يستجب له أو رأوا ولده على غير طريقه . أو امرأته لا تتقي الله قالوا ليس بولي إذ لو كان وليا لاستجاب الله دعاءه ولو كان وليا لاصح أهل دمه . ويظنون أن الولي يصلح غيره وهو لا يقدر على اصلاح

نفسه قال الله تعالى : (ونولا فضل الله عليكم ورحمته ما ركي منكم من أحد أبدا
ولكن الله يركي من يشاء) .

وأما الأمر الثاني وهو العصمة فهو من خصائص النبوة والولاية لأتراحم
النبوة قال رضى الله عنه . والخير الذى يظهر على يد الولي إنما هو من بركته
صلى الله عليه وآنه وسلم إذ الإيمان الذى هو السبب فى ذلك الخير إنما وصل إليه
بواسطة النبي صلى الله عليه وآنه وسلم . أما ذات الولي فإنها كسائر الدوات
بخلاف الأنبياء فإنهم جبوا على العصمة وفطروا على معرفة الله تعالى وتقواه
بحيث إنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه . ولا إلى معلم يستفيدون منه والحق
الساكن فى ذواتهم وهو حرف النبوة الذى طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم
والطريق المستقيم .

قال رضى الله عنه ونوأن الناس الذين ألّفوا فى الكرامات قصدوا إلى شرح
حال الولي الذى وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور
الباقية الصالحة والأمور الفانية لعل الناس الأولياء على الحقيقة . فيعلمون أن الولي
يدعو تارة فيستجاب له وتارة لا يستجاب له . ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة
لا يقضى . كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ويزيد الولي
بأنه تظهر الطاعة على جوارحه تارة وتظهر المخالفة عليها كسائر الناس وإنما امتاز
الولي عنهم بأمر واحد وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات
ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه فإنما هى بحسب ما يظهر لنا لافى الحقيقة لأن
المشاهدة التى هو فيها تأبى المخالفة وتمنع العصية منعاً لا ينتهى إلى حد العصية
حتى تراحم الولاية النبوة فإن المنع من العصية ذاتى فى الأنبياء عرّضى فى الأولياء
فيمكن زواله فى الأولياء ولا يمكن زواله فى الأنبياء ، وسره ما سبق وهو أن
خير الأنبياء من ذواتهم . وخير الأولياء من غير ذواتهم . فعصمة الأنبياء ذاتية
وعصمة الأولياء عرّضية . فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهى

مسورية لاحقيقية قصد بها امتحان من شاهدها واختباره . ولذلك أسرار فنطلب
من الله تعالى أن يوقفنا للإيمان بأوليائه . كما وقفنا للإيمان بأنبيائه عليهم
الصلاة والسلام .

وقال رضى الله عنه : من علم سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أكله
وشربه ونومه وبقظانه وجميع أحواله في يده . وعلم سيرته في حروبه وغزواته
وكيف بدال له مرة وبدال عليه أخرى . وكيف يطلب منه أناس قوما من أصحابه
ثم يذهبون ويغدرون بهم كما في غزوة الرجيع وغزوة بئر معونة . وعلم ما وقع في
قصة الحديدية وغيرها ولكل ذلك أسرار ربانية أطلع الله تعالى عليها نبينا
صلى الله عليه وآله وسلم - هانت عليه معرفة الأولياء ولا يستكثر ما يراه على
ظاهرهم من الأمور الفانية . والأوصاف البشرية . فعلى العاقل الذى يحب الخير
ويحب أهله أن يكثر من مطالعة سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يهديه ذلك
إلى معرفة الأولياء العارفين ولا يشكل عليه شيء ، من أمورهم . وهذا
القدر هو الذى يمكن أن يبينه القلم ، والعاقل اللبيب تكفيه الإشارة
والله الموفق انتهى .

ومن المنكرين قوم آخرون لم يفهموا من معنى الولي إلا الكرامات وقد
يكون عندهم اطلاع ومطالعة وفهم لأموار كثيرة ولكنهم خالون من سر الدين
وهو التأليه والتعبد لله وابتغاء التقرب إليه وإدامة ذكر الله وإخلاء القلب عن
ذكر غيره وعن الوسواس فيه وتعليق القلب به . وإن سمعوا بشيء من هذا أو مر
بهم في مطالعة أو محادثة مرًا باذهانهم كما يمر الطيف الخفى ثم لا يكون له عندهم
إثر ولا يرفعون له رأسا .

وهم مع هذا الغلط الفظيع وجمالهم خاصة الولي إنما هي الكرامات يسلكون
سبيلها مسلك أمور الكهانة والحيل وآثار الطبائع الشاذة وما يكون من مرتاض
الهنود المعروفين في القديم بالجوكية وأعمال المنذل المعروف في الزمن الحديث بالتزويم

المغناطيسي واستحضار الأرواح المعروفة في القديم باستحضار الجان . وأعمال أهل
الرق والايهام . وقراءة الأفكار ونحو ذلك من الأمور الغريبة الخارجة عن المعتاد
وهي كثيرة في هذا العالم وليس عندهم من الإيمان ما يعرفون به الفرق بين هذا
وهذا . فهم لا يعبثون بالصالح ذي الكرامات كما لا يعبثون بالصالح الذي لا كرامة
له . وهؤلاء لا دواء لهم إلا حصول الهداية للإيمان . والهداية بيد الله . فلا ينبغي
الاشتغال بهم . فإن حجابهم كثيف ومن شك في كرامة الله تعالى لصالح عباده
بالشبهة المذكورة فحقيق به أن يشك في معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم .
فصالحو هذه الأمة إنما حصل لهم ما حصل من بركات متبوعهم الأعظم صلى الله
عليه وآله وسلم .

فالكرامات لأولياء الله تكون تشبيها لقوتهم أو للتعريف بقدرهم والقصرة
لهم أو اجراء لطف من الله على أيديهم قال الله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء
الرسل ما ثبت به فؤادك) . وقال تعالى : (وهو يتولى الصالحين) وقال في
الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب . وقال : ولئن سألتني
لأعطينه . ولئن استعاذني لأعيذنه ، ومن آتاه الله نورا وفرقا لم يخف عليه
ما كان عن حق وما كان عن باطل . فإن هذا العالم فيه الحق والنور وأهله . وفيه
الباطل والظلام وأهله . ولكل فريق منهم ما يفرح به ويطمئن إليه ليبلغ
الكتاب أجله وتم كلمة ربك صدقا وعدلا . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم
من الجنة والناس أجمعين .

فأهل الحق يفتح الله عليهم في كل ما يقرهم منه ويزدادون به إيمانا من
علوم الكتاب والسنة وأسرارها وأنوارها . وأهل الظلام يفتح لهم في كل
ما يقطمهم عن الله وعن ذكره والإيمان به وما يزيدهم انقطاعا وعدا واشتغالا
عن الله من الأمور الفانية وما تنكسف به عقولهم فيزدادون كل يوم عددا
وانقطاعا وظلمة وتتولاهم الشياطين . وتكون لهم من الأمور العجيبة ما يركنون

إليه . وقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك أشياء غريبة من ذلك يظنونها حقائق نافعة ثابتة وماهى إلا خيالات وأطياف وألأعيب شيطانية يزدادون بها خروجاً إلى الظلام والكفر (اللهولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات). وسيأتى فى الفصل بعد هذا ما فهم به شيئاً من الفروق بين الفريقين فإن العمل بالرياضة والعمل لخروج مافى الروح قد ينتج أعمالاً جزئية تكون سبباً لتولى الشيطان لسوء القصد وعدم صحة الديانة والله ولى المتقين .

وأما الغلو فى الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بمقائد الدين وقد يفهمى ذلك ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت ذلك لله عز وجل ، وهذا انعكاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام. قال الإمام العارف بالله محيى الطريق . وداعى الفرق . الحبيب عبد الله بن علوى الحداد العلوى الحسينى التصرف الحقيقى الذى هو التأثير والخلق والايجاد لله تعالى وحده لا شريك له ولا تأثير للولى ولا غيره فى شىء قط لا حياً ولا ميتاً فمن اعتقد أن للولى أو غيره تأثيراً فى شىء فهو كافر بالله تعالى انتهى .

وللشيخ العلامة ناشر العلوم . وينبوع الفهوم . الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان الكندى كلام فى مواضع متعددة من مؤلفاته يحذر من الغلو المفسد للعقيدة . والمؤدى إلى الشرك والقطيعة . وللشيخ العارف بالله عمر بن عبد الله باخرمة السيبانى أبيات مشهورة وقد أخبرنا شيخنا رضى الله عنه بكلام فى ذلك عن شيخه العارف بالله ذى المقامات والأحوال صالح بن عبد الله العطاس العلوى الحسينى والحمد لله على توفيقه وهدايته .

وقال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه تاج العارفين السيد الشريف عبد العزيز وسمعت رضى الله عنه يقول إن الأولياء يفعلون أموراً عظيمة سخرهم الحق سبحانه فيها حتى يتعجب من تلك الأفعال وإذا نظرت بعين الحقيقة وجدت

الفاعل لها هو الحق سبحانه وهم محمولون كغيرهم من المخلوقات من غير فرق انتهى .

وقال الشيخ أحمد بن المبارك وسألته رضى الله عنه لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد منهم إذا جهد في يمينه يقول وحق سيدى فلان كسيدى عبد القادر الجيلانى أو سيدى عبد العزيز أو سيدى أبى العباس السبتي وغيرهم نفعتنا الله بهم وإذا أراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه في يمينه يقول احلف لى بسيدى فلان .

وإذا أصابه ضرر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتكفون الناس خرج باسم سيدى فلان وهم في ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل .

وإذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام متهم موقعا فما السبب في ذلك (فذكر) جواب شيخه وحاصله أن سبب ذلك قوة ظلام ذواتهم وانقطاعهم عن الله تعالى قال وما يدالك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا ويذهب بها الى ضريح ولى من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب منه متاع الله في سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ الولى فيطرحها عند رأسه وهذا من أقبح ما يكون وسببه أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم وجوده العظيم اذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه لكن لما كان الحامل عليها والداعى الى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحظوظه خص بها موصفا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما .

قال رضى الله عنه وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب

تلمسان الى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير ثمانون ديناراً ومن الغنم ثلاثمائة وستون شاة ومن البقر اثنان وسبعون ثوراً أخرج هذا كله في يوم واحد للصالحين وما أخرج الله في ذلك اليوم عشرة دراهم قال وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها .
أما الجهل بكيفية الانتفاع بهم فإن أكثر الناس إذا علموا بولي فإنما يأتون إليه ليدعوا لهم بمطلب دنيوي أو لينالوا منه كرامة في صلاح أغراضهم الدنيوية فقط من غير نظر إلى الاسترشاد به وقبول نصيحته وقد يكونون مع ذلك في غاية الجهل بالعقيدة الدينية على وجهها أو معتقدين لعقائد هي بدع مهلكات وقد يكون منهم التارك للصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك من فرائض الله أو مستحلين للكبائر كقتل الأنفس ونهب الأموال بغير حق وغير ذلك من الجرائم فأمثال هؤلاء إنما يداريهم الولي على ظاهر أمرهم . استكفاء لشهم . كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يعامل المنافقين على ظاهر أمرهم ويكبل سرائرهم إلى الله . ومن طالب منهم دعاء أو مطلباً دنيوياً وافقه عليه لمستجلباً لقلوبهم ورجاء لتوبتهم . وقد يتوسل بذلك إلى كف شرهم عن الضعفاء وإطفاء فتنة قامت من جهتهم على ما يقتضيه الحال المقدور عليه في الزمان والمكان دفعا لأكبر الشر بأصغره . فعلى مثل هذا تكون مقاصد أهل الله في معاملتهم ولا يتركون نصيحهم وموعظتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

قال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه : وسمعتُه رضى الله عنه يقول إن الغرض من الولي هو الدلالة على الله تعالى والجمع عليه والتزهد فيما سواه فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار ولا يسأله عن ربه ولا كيف يعرفه مقتته الولي وأبغضه ، وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به وذلك لأمر .
منها أن محبته للولي ليست لوجه الله وإنما هي على حرف . والمحبة على حرف خسران مبین لا ينزل عليها نور الحق أبداً . ومنها أن الولي يراه في تعلقه بغير
(٤ - عقود الأمان)

الله تعالى في عين القطيعة وهو يريد أن ينقذه منها . والعبد يريد أن يزيده منها . فإن الولي يراه ترك التمرة وأخذ الجمرة فالتمرة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه والجمرة هي القطيعة عنه والقصد إلى غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها . ومنها أن الولي إذا ساعده في قضاء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أن هذا هو الذي ينبغي أن تقع المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل ذلك ضلال وموجب لمقت الولي له .

قال وقد سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول إنما مثل الولي كمثل رجل عمله صنعة الفخار فيه يحرك يده وتعمل جوارحه ومع ذلك فعنده الخزائن التي يحتاج إليها الناس من طعام وغيره والخزائن وإن كانت عنده فقلبه معرض عنها لا تقع عنده ببال ولا تساوى عنده شيئاً ، ولا يحب الكلام إلا في عمل الفخار وصنعتة ويكره غاية الكراهة من يتكلم معه في غيره ويبغضه حتى يخاف ذلك المتكلم أن يناله ضرر من الرجل المذكور . فإذا جاءه رجلان وقد علما حالته وبغضه للكلام في غير عمل الفخار وأرادا منه شيئاً من تلك الخزائن فالوقوف منهما والكيس هو الذي يتكلم معه في عمل الفخار ويسأله عن صنعتة وكيف يعمل ولا يزال هذا دأبه حتى يناله من الرجل محبة عظيمة ومودة كبيرة فإذا سأله بعد ذلك شيئاً من تلك الخزائن مكّنه منه ولا يقع له ضرر منه ، والذي نأتى لذلك الرجل ويطلب منه أولاً شيئاً من تلك الخزائن ويتكلم معه فيها فإنه إن سلم من ضرب الرجل له بفخارة على رأسه كان هو السعيد ، وكان ربحه هو سلامته لا غير فهذا مثل الولي لا صنعة له إلا معرفة الحق وما يوصل إليه ولا يحب كلاماً إلا فيه ولا جمعاً إلا عليه ولا وصولاً إلا منه ولا قرباً إلا إليه . فمن عرفه على هذا ربح منه الدنيا والآخرة ، ومن عرفه على غير هذا كان على العكس . انتهى .

(قلت) وهذه صفة شيخنا رضى الله عنه فإن حديثه كله فى ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومذاكرة العلم وقراءة كتبه والوعظ والنصيحة وذكر سير الصالحين والاشتغال بالتلاوة والأوراد والدعاء وإقامة الفرائض فى الجماعة والاستكثار من النوافل مع المداومة على ذلك لا يقطعه عن ذلك قاطع . وكان يؤثر على الناس إذا حضروه فيجذبهم إلى ما هو عليه ولا يترك لهم فرصة التكرير لمجلسه أو ادخال حديث الدنيا فيه وهكذا كان حال شيخه الحبيب صالح بن عبد الله قال لى إن الحبيب صالحا لا يتأثر بأحد ولا يأخذ مجلسه أحد بل يستولى على الحاضرين فيفهمهم بما هو ديدنه فلا يشتغل معهم إلا بنصح أو ذكر أو نشيد أى بذكر الله تعالى قال وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله يتأثر بحال جلسه فلا ينال منه شيئا مع عدم الإقبال والتشوف أو كما قال فرمما زدت كلامه بيانا رضى الله عنه ونفع به آمين .

الفصل الرابع

فى طريقة شيخنا وهى طريقة أسلافه السادة العلويين

اعلم أن طريقة شيخنا رضى الله عنه هى طريقة أسلافه السادة العلويين الحسينيين الحضرىين وقد ألفت فى التعريف بها رسائل مجملة لأنها مشروحة فى الكتاب العزيز والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح بغير غلو ولا تشديد ولا استحداث أوضاع وتخيلات لاستجلاب الخوارق ولا جمع فكر وتوجه لغير الله ولو على جهة الارتباط ولا وضع من حركات واستحضارات واستخدام وإنما طريقتهم الزهد وجمع القلب على الله والعزلة والإقبال على أداء الفرائض والاكثار من النوافل وذكر الله مع الحضور والإخلاص وكف النفس عن الشهوات وغير ذلك مما سياتى شرحه باجمال .

قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه ذات يوم وقد جرى

ذكر الطريق وحكمها وما ابتدع من الكيفيات المعروفة فيها فأخذ رضى الله عنه في الكلام على طريق آل أبي علوى ومدحها وشيّدتها وأطال في ذلك جدا وقال إن طريق آل أبي علوى أقوم الطرق وأعدّها . وسيرتهم أحسن السير وأمثلها . وأنهم على الطريقة المثلى والمهيّج الأفيح . والمشرع الأوضح . والسبيل الأسلم الأصح .

وقال رضى الله عنه : لا يصح لأحد من آل باعلوى أن يخالف المنهج الذى درج عليه أسلافه ولا أن يميل عن طريقتهم وسيرتهم بأن يتبع وينجرّ ويلقى القياد لكل من يدعى التسليك والتحكيم ممن تخالف سيرته وطريقته طريق آل أبي علوى وسيرتهم . لأن طريقتهم هى التى يشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية وسيرة السلف الكرام لأنهم تلقوا ذلك خلفا عن سلف وأبا عن جد إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم فى ذلك متفاوتون فمن فاضل وأفضل وكامل وأكمل .

وقال رضى الله عنه إنما يحسن وينبغى لمن كان من آل أبي علوى أن يدعو الناس ويستتبهم إلى الطريقة التى هم عليها . ولا يحسن أن يهذبوا طريقة سلفهم ويسجلوا على أنفسهم أنهم ليسوا من أولى الطريقة الحميدة . اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التبرك مع تمسكهم بسيرة أسلافهم واعتمادهم عليها . ومع ذلك فإنه لا يبارك لأحد من آل أبي علوى أبدا إذا طرح طريقة سلفه وتزيا بغير ذريتهم رضى الله عنهم .

وقال رضى الله عنه ما من أهل طريق إلا وقد خلطوا وبدلوا وخالفوا هدى سلفهم ما عدا آل أبي علوى .

وفى (تبصرة الولي بطريق السادة بنى علوى) التى تلقاها السيد الشريف العارف بالله الحبيب أحمد بن زين الحبشى عن سيدنا الإمام عبد الله بن علوى .

الحداد العلوي الحسيني قال : سمعت منه . قال الله تعالى (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) فهو صلى الله عليه وآله وسلم الهادي بنور الله تعالى من يشاء من عباده ممن سبقت له من الله العناية إلى الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الصراط المشار إليه باسم الإشارة الذي للقريب المشاهد . في قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وهو المشروح في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والمبين بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره والمشاهد من أحواله في سيرته وأخلاقه كما عليه أكابر الصحابة وأهل بيته ثم صالحو السلف التابعين باحسان فتابعيهم كذلك وقد نقل ذلك الإمامان أبو طالب المكي في قوته وأبو القاسم القشيري في رسالته ومن نحائهم ، ثم فصل ذلك وهذبه وحرره وبوّبه وقرره ونقّحه حجة الإسلام الغزالي وهو طريق السادة العلويين الحضرميين الحسينيين تلقوه هكذا طبقة عن طبقة وأبا عن أب وتوارثوه من لدن الحسين وزين العابدين والباقر والصادق وغيرهم من أكابر السلف هكذا إلى الآن ، وبهذا يعلم أن طريق السادة العلويين ليس إلا الكتاب والسنة وهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون . فمن متوسط في ذلك وكامل وأكمل فهم على المربع الواسع الموصل إلى الله تعالى ، من سار عليه وصل إلا أن سلوكهم متفاوت فمن سالك في مسلكه الأوسط وهو عزيز جدا . ومن منتهج جانبا منه . ومن سائر على طرف سوى ومن سائر بسير السائرين عليه .

فعلم أن طريقة السادة آل باعلوي هي صراط الله المستقيم . وهم الذين أنعم الله عليهم بطاعته وطاعة رسوله ومعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما .

وما خالف طريقة آل باعلوى بحيث يضادها فهو من السُّبُل المتفرقة عن سبيل الله تعالى لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح وتصحيح التقوى والزهد في الدنيا ، ولزوم التواضع ومعانقة العبادة ، ومواصلة الأوراد واستشعار الخوف ، وكمال اليقين ، وحسن الأخلاق ، وإصلاح النيات ، وتطهير القلوب والطويات ، ومجانبة العيوب الخفيات والجليات ، وحقيقة الفاضل والأفضل ما هو كذلك عند الله . وعندية الله هنا ما علمه في خلقه ، ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم .

والقرب إليه سبحانه وتعالى يكون بحسب قوة الايمان واليقين والإحسان وإقامة الفرائض والاكثار من النوافل ، والتخلق بأخلاق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لم تخلق باخلاق الله من الرحمة ولرافة وملك الأشياء والتقدس عن الأوصاف غير الكاملة والسلامة منها واعطاء الأمان ، والاطلاع على حقائق الأمور . وعلو الرتبة إلى آخر الأوصاف الحسنى وكل هذا من الحق الواضح .

والكلام عليه تبين للحق إن شاء الله وتحدث به لأن الفخر في الدين منفي بنفي الشارع صلى الله عليه وآله وسلم وإن قصده قاصد فهو مخطئ حيث اثبت منفيا إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . نفي الفخر وبين الحق . وأظهر نعمة الله وتحدث . وهذا شيء سمعته من سيدنا وشيخنا الإمام السيد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد باعلوى الحسينى السنى ومما يقاربه لفظا وبشبهه بمسجد الأوابين عشية الثلاثاء العاشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١١٠٩ تسم بتقديم التاء للثناة فوق ومائة وألف انتهى ملخصا من تبصرة الولي . وقد قرر هذا الكلام سيدنا الحبيب المذكور بقوله فيما وجدته مكتوبا .

الحمد لله وحده . الذى فهمه السيد الشريف الفاضل المنيف أحمد بن السيد

الأكرم زين العابدين الحبشى علوى من شأن المذاكرة ثم بينه وأوضحه . كما شرحه وأبان عنه . وهو محل ذلك وأهله جعله الله شهاباً ثاقباً في سماء الدعوة إليه والهداية إلى سبيله يستضيء به السائرون ، ويبصر ويهتدى به الحائرون ، ولا زال في رقيٍّ ومزيد حتى يبلغ الغاية القصوى مصحوباً بلطف الله وعافيته وكمال تأييده وتسديده وإلى الله سبحانه وتعالى المصير والمنتهى وله المنة والحمد وهو الحاكم في الآخرة والأولى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي به الله هدانا وبيمينه وبركته أولانا ما أولانا ربنا وسيدنا ونرجو من فضله المزيد بفضله . وأن الفضل له وبيده وهو ذو الفضل العظيم أملاه العبد الفقير عبد الله بن علوى الحداد علوى عشية الخميس ثاني عشر من الشهر المذكور بالتاريخ المتقدم .

وقال رضى الله عنه طريق السادة آل باعلوى العقيدة التامة . والتعلق بالشيخ . والاعتناء من الشيخ . والتربية بالسراً وهي طريقة السلف كالحسن البصرى وغيره ، وقال رضى الله عنه نحن لا نمشي إلا على الطريق الأكبر المستقيم الذي لا يكون فيه اعتراض لأحد وهو المهيمن الواسع قال الله تعالى (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وقال سيدنا إمام العلوم العقلية والنقلية أحمد بن زين الحبشى نفع الله به في تعريفه لطريقة سلفه وحزبه : طريق السادة آل أبى علوى إنما هي العلم والعمل والورع والخوف من الله والاخلاص له عزاً وجل انتهى .

وقد ذكر شيخنا الإمام ، اللهم الحبيب عيروس بن عمر الحبشى في (عقد اليواقيت الجوهريّة) نقولاً كثيرة في ذلك كما ذكر الإمام الداعى إلى الله منقياً الشافعية بمكة المحمية الحبيب محمد بن حسين الحبشى نحواً من ذلك في رسالته (العقود الأوّلية ، في بيان طريقة السادة العلوية) وللإمام الجليل المسند الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوى الحسينى جواب سؤال عن الطريقة العلوية ذكره فى (عقد اليواقيت الجوهريّة) فراجعه .

وقال الحبيب قطب الإرشاد عبد الله بن علوى الحداد . قد يجمع الله لبعض الخواص من المؤمنين بين العلوم الظاهرة والباطنة . ويؤهله لمنفع الخاصة والعامة . وعلم الشريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة . وكان على هذا الوصف جماعة من السلف الصالح ومن أهل البيت السادة بنى علوى جماعة يطول تعدادهم كانوا على هذا الوصف يعرف ذلك من نظر فى سيرهم وطالع فى أخبار مناقبهم نفعا الله بهم وأفاض علينا من بركاتهم .

ومن رجال هذه الطريقة من كان شأنه الافتصار من العلم على ما لا بد منه والأخذ فى العبادة والتبتل إلى الله والانقطاع إليه . والتفرغ من كل ما يشغل عنه سبحانه وعن طاعته . والانقباض عن الناس والفرار منهم . وخروج الكثير منهم إلى الجبال والشعاب . والسياسة فى الغياض والقنار رياضة للنفوس وقطعا لعوائدها ومألوفاتها . وتصحيحا لمقامات اليقين من التوكل على الله والأخلاص له والزهد فى الدنيا وفى المال والجاه والمنزلة فى قلوب الناس . وكان الأكثر من رجال الله على هذا الوصف وهذا السبيل . تفرغ أمثال هؤلاء الذين ذكرناهم للعمل والعبادة والاعتزال عن الناس والاقبال بكنههم على الدار الآخرة . وترك ما يشغلهم عن ربهم وعن طاعته والتجرد لعبادته كأننا من ذلك ما كان والصادقون من أهل هذه الطريقة قد قلّوا وعزّوا حتى صاروا أعز من الكبريت الأحمر . وأهل هذه الطريقة أحرص الناس على الاستتار والحمول والفرار عن الناس خصوصا عند فساد الزمان .

وقال رضى الله عنه . طريقة آل باعلوى من تأملها عرف أنها هى الطريقة الوسطى المعتدلة التى لا تنكر من تواضعهم وزهدهم وفقيرهم وخولهم وسلامتهم

صدورهم ومن صحب أحدا منهم لا بد له من أن يقتدى به ولو في بعض الشيء
على حسب الحال والزمان وإلا خرج إلى الخلاء أى خرج عن طريقتهم حيث
لم يتشبه بهم .

وقال رضى الله عنه آل أبى علوى مطهرون من رأى أحدا منهم هابه
بديهة وربما لم يعجبه وإذا اختبر باطنه وجد به عكس ظاهره وقال لا يخلو الزمان
من أفاضل آل أبى علوى حتى يخرج المهدي الموعود به إما خامل مستور
أو ظاهر مشهور . ولما سأله بعض الناس في شأن طريقة آل أبى علوى قال له
انظر إلى الأعمال لا إلى الأقوال .

ذكر شيء من كلام شيخنا في الطريقة العلوية

اعلم أن لشيخنا في شرح الطريقة العلوية كلاما كثيرا في مجموع كلامه .
ولا سبيل إلى الإطالة بنقله . ولكننا نذكر منه نموذجا يكون دالا على ما وراءه .
قال رضى الله عنه كان السلف الصالح من العلويين وغيرهم يربون طالب
العلم على سلامة الصدر وحسن الظن بالله وبخلق الله . والزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة . ومراعاة الحقوق لأهلها . وتعظيم العلم والعلماء والأولياء والمؤمنين
والمسلمين ويراقبون قلوبهم وأسماعهم ويحفظونها عن كل ما يدخل التشويش مما
حصل سابقا لأجل أن تبقى قلوبهم نقية وطاهرة وصافية . ونفوسهم مطمئنة
وهممهم معلقة بالخير وأسبابه . هكذا كان شأنهم رضى الله عنهم . ومن ظهر
عليه شيء من الأخلاق المذمومة يحذرونه منه لا غير . ولا يذكرون له
باقى الأخلاق المذمومة إلا إن وقع في شيء منها لأن ذلك مشوش على
الطالب الراغب .

وكان رضى الله عنه يقول : أجعل السلف الصالح نصب عينيك . وأقتد
بهم في حركاتك وسكناتك . وإذا أردت فعل شيء اعرضه على الشرع وعلى

أحوال السلف وأفعالهم المقيدة بالشرع . والذين هم على بصيرة من الله في جميع أحوالهم . فإن بلغك أن أحداً منهم فعل هذا الفعل الذي أردته فافعله واقتد به وإن لم يبلغك أن أحداً منهم فعله فإياك والمحدثات والمستحسنات الناشئة عن الهوى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه سلفنا يقولون إن طريقهم ظاهرها غزالية . ما يتركون الأعمال . وباطنها شاذلية ما يعتمدون على الأعمال . ما يسلكون إلا بالرجاء والشوق . والتمول طبعهم لا أنهم يقصدونه وأمثال هذه الأحوال يعنى الكشوفات ونحوها ما يقصدونها ولا ينظرون إليها لأنها تقطعهم عن ربهم . ومن شأن سلفنا أنهم يرغبون الطالب حتى يكون عالماً عاملاً من غير أن يشعر .

وقد سئل رضى الله عنه عما إذا وجد المرء في قلبه رقة وخشوعاً وهو في صلاته هل يستمر مع ذلك أم يعود إلى التفكير فيما يقرأ وهل يكون ما يجده من ذلك من الشيطان فأجاب بقوله : سلفنا ما يعتمدون إلا على ربهم . وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بصورة عائشة رضى الله عنها في سرقة من حرير وأخبر بأنها زوجته قال : إن يكن هذا من عند الله يمضه فكيف نكون نحن . فسئل عن توضيح ذلك فقال الواردات الإلهية إذا وردت على القلوب أو لاحت بارقة للقلوب لا يميل المرء إليها إن يكن من عند الله يمضه (أى ينفذه ويوجد في الخارج) .

وسئل رضى الله عنه بترسيم سنة ١٣٢٠ عن تعريف الطريقة العاروية فقال ظاهرها غزالية . وباطنها شاذلية . وإن شئت فقل هي سلامة واستقامة . وإن شئت فقل هي مقابلة وإقبال وإن شئت فقل هي تخلى وتحلى . وإن شئت فقل هي هدى وسكون . وإن شئت فقل هي محو وإثبات . وإن شئت فقل هي تعمّل وتجمّل وإن شئت فقل هي سلامة وتسليم . وحقيقة ذلك كما قال تعالى :

(من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) . وهى كما قال الحبيب عبد الرحمن بلفقيه اتباع المنصوص على وجه مخصوص .

وسئل رضى الله عنه مرة ثانية عنها وقيل له إن بعض الناس يقول لم تبينوها كما ينبغى وإن الاشكال واقع معه . فقال رضى الله عنه إنهم فى هذا الزمان ما يبحثون إلا عن الألفاظ لا المعانى . وطريقة السلف أن يفعل فى محل الفعل ويترك فى محل الترك . وينوى فى محل النية . ويعرض فى محل الاعراض وهى فى بيت من كلام الحبيب عبد الله الحداد : -

والزم كتاب الله واتبع سنة واقتد هداك الله بالإسلاف

نقل هذا عنه تلميذه العلامة الشيخ محمد بافضل أو نحوه . وما أنكره شيخنا على السائل فى محله . فإن من عرف الطريقة الغزالية المشروحة فى كتب حجة الاسلام الغزالى وعرف الطريقة الشاذلية من كتب ابن عطاء الله مثلاً وجمع بين الطريقتين عرف لا محالة ماهية الطريقة العلوية وكان ذلك لها خير تعريف كما قال رضى الله عنه إن طريقة العلويين غزالية الظاهر ما يتركون الأعمال . وشاذلية الباطن ما يعتمدون على الأعمال والمراد بالأعمال ما يقمناها الصوفية من الاكثار منها والتجرد لها كما أن قوله رضى الله عنه هى سلامة أى من الزيغ فى العقيدة والوقوع فى المعصية . واستقامة أى على الحق عملاً واعتقاداً . تعريف جامع مانع لها . وهكذا ما قاله بعد ذلك وهذا بيان معناه .

فقوله هى سلامة واستقامة قد بينا مراده بذلك ثم قال : وإن شئت فقل هى مقابلة والمراد به مقابلة الأمر والنهى بالإيمان والتسليم . وقوله وإقبال المراد به الاقبال على امتثال ذلك أو الاقبال على الله بأدائهما وتوفيتهما .

وقوله : وإن شئت فقل تخلى وتحلى فالمراد بالتخلى أن يتخلى العبد عن

الصفات والأعمال السيئة وبالتخلي أن يتحلى أى يتصف بالصفات الحسنة موفياً بما تقتضيه من الأعمال الصالحة .

وقوله : وإن شئت فقل هى هدى وسكون ، فالهدى هو الطريقة والسيرة وما يظهر على المرء من السمات الحسن والهيئة . وفى الحديث واهتدوا بهدى عمار أى سيروا بسيرته وتهيموا بهيئته . ويقال ما أحسن هديه أى سمته وسكونه واستقامة أمره .

وذلك أمر يهتم به الأشياخ من السادة العلويين ويكثرُونَ الإشارة إليه بالافتداء بالمشائخ أهل الحق والعلم والتمكين فى هيئتهم وسمتهم وحركتهم وسكونهم والظاهر عنوان الباطن وكل منهما يؤثر ويتأثر من الآخر . وقد يكون المراد بالسكون الوقار الصادر عن نزول السكينة فى قلب العبد وهى معنى يجمع نورا وقوة وروحا وثقة بالله ومن ذلك قوله تعالى : هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، والمراد بقوله وسكون أى سكون القلب الذى يتبعه لا محالة سكون الذات أى سكونه عن الخواطر السيئة والمرادات غير المشروعة ، والنوازع النفسية والنوازغ الشيطانية .

وقوله : وإن شئت فقل هى محو وإثبات . فالمراد بالمحو هو المراد بالتخلي أى محو الصفات السيئة عن القلب وإثبات أضدادها وأعلى من ذلك أن يمحو إرادة غير الله من قلبه ويثبت صدق الإرادة فى القصد إليه وأعلى من ذلك محو الرسوم وهو من أحوال أهل النهاية .

قال فى غاية القصد والمراد فى مناقب الإمام القطب عبد الله بن علوى الحداد . وأنشد رجل عند سيدى نفع الله به وكان صانعا محكما بقصيدة الشيخ السورى : -

لا تسل يا تحفة التحف ما بقلبي فيك من كلف

وكان عنده السيد الجليل حسن بن علوى الجفرى فلما بلغ المنشد قوله :

ومحت رسمى كما محيت احرف من باطن الصحف

حصل مع سيدى والسيد حسن تأثر عظيم فقال السيد حسن لسيدى عبد الله :
كم مرة سمعنا هذه القصيدة ولم يحصل معنا هذا التأثر فقال سيدى : نعم . إن
الكلام مثل السيف إذا صادف ضاربا قطع وبلغ الغرض منه ، إشارة إلى إجابة
المنشد وإحكامه أنهى بنحوه .

وقول شيخنا وإن شئت فقل هى تعمل وتجمل فالمراد بالعمل تكلف
العمل والتأسى وتكليف النفس بالهدى والسمت وبالتجمل العمل فى تجميل
الباطن بالأخلاق والظاهر بالأعمال والسيرة الحسنة .

وقوله وإن شئت فقل هى سلامة وتسليم فالمراد بالسلامة السلامة مما يوجب
الانقطاع عن الله والبعد عنه . والتسليم له فى الأمر والنهى والقدر .
ففى كل جملة مما قاله شيخنا تعريف تام جامع مانع للطريقة العلوية وكذلك
قول الحبيب عبد الرحمن بلفقيه هى اتباع المنصوص . على وجه مخصوص .
وإنك لتجد فى كتب الفقه تعريفهم للوضوء والتيمم بل والصلاة والصوم
بما يشبه ما تقدم . ولم يقم عند السائل إشكال فى ذلك لأنه يعرف أى الوضوء
وما معه من قبل فمصدر الاشكال إذن هو خلو ذهن عن تصور الطريقتين
الغزالية والشاذلية . وذلك ما سنبينه فى الفصل الآتى .

وقد سبق لى كلام فى شرح الطريقة العلوية والصوفية يتلخص منه فى تعريفها
أنها تمرين النفس على العمل بالعلم . والتحقق بحقائق الإيمان . ومطالبة
النفس بتحقيق العبودية وإخلاصها لا تصوف الحقائق المجردة الذى كانوا ينهون
عنه أبلاغ النهى ويعيبون من مال إليه ويمنعون أبناءهم عن مطالعة كتبه . ولا تصوف
الأوضاع والرسوم .

وقال قطب العارفين . الحبيب عيديروس بن عمر بن عيديروس الحبشي الحسيني . كان السادة بنو علوى . أدناهم فى العمل من يكون عنده ما يغنيه عن علم غيره من العلماء . وكان كل واحد منهم يحفظ مناقب أهله وسيرهم وكراماتهم وكان أكثر الأخذ منهم للعلم والأدب بالتلقى والتأدب بالحال لا بكثرة القراءة فى الكتب والقليل والقال حتى إن صاحب المشرع الروى إذا ذكر أحدهم قال : وتأدب بابيه . وكانوا شديدي الغيرة على طريقة سلفهم أن تشاب بشيء من الطرائق الأخرى حتى إن بعضهم أخذ عن بعض أهل الطرائق الأخرى فوجه إليه أكابر وقته العتب واللائمة . هذا إذا كان أخذ تحكيم . وأما أخذ التبرك فإنهم آخذون وقائلون به ويأخذون جميع الطرائق من غير منع ولا تحجير بل كانوا على هذا الوجه ممن كان عنده من صغير أو كبير حتى إن بعضهم له ألف شيخ اه .

قلت وكان شيخنا صاحب المناقب يطيل القول والبيان فى شأن التلقى والتأدب بالقدرة والتأسي والمحاكاة للمشائخ فى أعمالهم وحركاتهم وترتيب أوقاتهم وسمتهم وقال إن أسلافنا يربون أولادهم من صغرهم على العمل قبل العلم حتى إذا تأهل عرفوه علم ذلك وأسراره أو كما أشار إليه وكان يقول مامعناه : إنكم ستجدون فى الكتب أو تسمعون حال فلان من المشائخ وقاله ولكن الأمر الذى لا تجدونه هو ما رآه المعاشر له من حركاته وسكناته وكيفية أعماله وتقلباته ومالا ينقل بالوصف ولا تحويه الألفاظ ولا تشتمل عليه الكتب أو نحو هذا مما يورده مرارا وقد يضرب لنا الامثال فى ذلك وإذا تأملت ما رواه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدت الكثير منه هو حكاية العمل وما شاكلة وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى وقولاه خذوا عني مناسككم ما يشهد لذلك وفيما وصفوا به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من أخذه بالسمت النبوى وغير ذلك مما يطول الفصل به .

فصل في بيان أن مجموعي الطريقتين الغزالية

والشاذلية هو عين الطريقة العلوية

اعلم أنهم أجهلوا الطريقة الشاذلية في قولهم : - هي رؤية المنة لله .
وملازمة الشكر . وإخلاص العبودية ، والبراءة من جميع الخطوط ، والاعتراف
بالعجز والتقصير .

هذا مجمل أصولها وقد أطلوا في التفريع والتفصيل كما تراه في كلام ابن عطاء
الله ومن بعده . وهذه الأصول تومئ إلى معان عزيزة . ومقام رفيع . يستسيغ
السامع الفاظها وقد يستسهل التحقق بها ولا سيما إذا كان غرًّا بعمل النفوس
وصعوبة مراسمها وعُضال دأئها ، وطول عنفها وعنادها .

وهيئات هيئات العقيق ومن به وهيئات وصل بالعقيق نحاوله

فالمجاهدة والرياضة لا بد منها وإن كانت الرياضة هنا قلبية فقد تكون
أصعب شيء على النفس . ولا سيما إذا كانت من النفوس الحية . والأفئدة
الغافلة . وقد تصبر النفس الخبيثة على حمل الأثقال ولو ناءت بها . ولكن
يصعب عليها كل الصعوبة أن تبقى عندها الملاحظة التامة لتلك المعاني الشريفة
فضلا عن التحقق بها والاتصاف بها وذوقها وذلك لمضادتها كل المضادة لما تنشأ
عليه غالبا وشرح ذلك بالبيان السكافي بطول فنكتفي بالإشارة باختصار .

فاعلم أن المرء ينشأ من صغره شاعرا بوجوده . معتدا به . حريصا على بقاءه
متهاككا على ما يستلذه . مسارعا إلى ما يهواه . حريصا على التملك مفتبطا بأعماله
وحرركاته . منقطعا إليها . فإن نمحرك في عمل صالح أعجب بنفسه واستعظم ما يعمل
ورأى أن ذلك إنما جاء من خيرية نفسه وعلو همته . وإن فاجأته نعمة رأى
أنه كان يستحقها من قبل أو صار إلى حال تعجبه قدر في نفسه أنه أهلها ومحله وإن حصل

له شيء بعد عمل دنيوى أو أخروى قال هذا ثمرة عملى وإن تحرك فى تجارة مثلاً فربح
واغتنى قال هذا ثمرة فهمى وجدى واجتهادى وقال إنما أوقيته على علم . وإن
نعلم فنبتغ وتفوق قال إنما أدركت النبوغ والتفوق بحدة ذهنى وجودة فهمى
وهكذا يستمر فى كل شأنه منقطعا إلى نفسه . غافلا عن ربه قد استولت عليه
العلل النفسية . وتغلبت عليه الحظوظ والمقاصد المختلفة . يتردد نظره بين النفس
والخلق . وتتردد خواطره بين مراداته وأعماله . منقطعا عن الله إليها وإلى
ما يصدر عنها . فلا يكاد تخلص له نية ولا يصفو له عمل ولا يتصور له إخلاص
والكل فى الكل عنده نفسه ، لها يكدح ومن أجلها ينهض .

فإن سبقت له من الله عناية نالته نفحة من نفحات الله المنقذات المنجيات
فايقظته من سنة الغفلة فاكتحلت بنور الذكر بصيرته . واستنار بضياء الفهم
عقله . فرأى الأمور على حقائقها وعلم علما مقترنا بوجودان نقيّ ثابت وشعور
موقف وذوق صادق انه قد كان فى جلايب من ظلمات الجهل سترت عنه
ذلك . وتحقق أن كل ما وصل إليه من نعمة فى نفسه من علم وعمل ومال وجمال
وصحة وغير ذلك إنما هى منة محضة من الله سبق بها قضاؤه . ونفذ بها قدره
قبل خلقه . وتيقن أنه لم يكن له من الأمر شيء . وأنه فى الحقيقة حرف جاء
لمعنى فى غيره . إذ قدره عز وجل شامل للأسباب والمسببات فيتحقق أن ذلك
كله عطاء محض وإحسان من الله بلا سابق عمل ولا لاحق عمل فالعامل والعمل
والتواب كله فضل من الله فاذا دام معه هذا الشهود وذاقه وتحقق به امتلاؤه
قلبه تعظيما لمولاه المحسن واكبارا لاعتنائه به قبل خلقه بتقديره وبعد خلقه إياه
بتيسيره . وحسن تدبيره فتحركت همته . ونهضت أعضاؤه للملازمة الشكر
لله بالنية والعقل والعمل واستشعار الحضور .

قال الحبيب عبد الله الحداد رضى الله عنه أصل الشكر معرفة القلب بان

النعم من الله وحده لم يصل إليه منها شيء بحوله وقوته بل بفضل الله ورحمته ،
وغاية الشكر أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك فإن لم تطعه بها فقد
تركت الشكر عليها ، وإن عصيته فقد وقعت في الكفران وعنده تبدل النعم
بالنقم ، ومن الشكر كثرة الثناء على الله والفرح بالنعم من حيث إنها
وسيلة إلى الله ينال بها التقرب من الله أو من حيث إنها دالة على عناية الله
بعبيده انتهى .

فإذا استمر على ذلك زاده الله معرفة بحقيقة نفسه فرأى أنه عبد رقيق محض
لله هو وما اتصل به من جسد وحواس وعقل وأهل ومال بل والسماء والأرض
وما فيهما رؤية عامية ذوقية . وبصير حاله فيما لو صلى صلاة مثلاً يرى أنه يعمل
بأمر الله ومعونته ذلك كله ، ويحضر في قلبه حضوراً يفوق المعتاد عند من لم
يُحصل مثل ذوقه : أن الماء الذي يتوضأ به ملك لله ، والأرض التي صلى عليها
ملك لله . وهو ومالاً به ملك لله فلا شيء له ولا منه وإنما كل شيء يتعلق به
ويعمله ملك لله ، فيستوى هذا الذكر بتبليغ ذوقه على قلبه فيعلم أنه لا يقوم
بشيء من الشكر أبداً فضلاً عن توفيقه لأنه وجميع آلات العمل ملك لله .
قال كل نعم عليه منه عز وجل . فأين موضع توفيق الشكر والشكر إنما
يكون بما يملكه العبد . وهو لا يملك شيئاً . فيرى افتقاره إلى الله الفقر الحقيقي
رؤية تحقق وشعور وذوق لا يغيب عنه . فيشعر في كل طرفة عين بشدة حاجته
واضطرابه إلى مولاه . قائماً في الخدمة ممثلاً لأمر سيده ومولاه . لاجئاً إليه .
منطرحاً على أعتابه . لا يرى له سبباً ولا عملاً ولا ما جأ إلا ذلك ، سقطت عنه
رؤية أعماله من أول وهلة . وفنت حظوظه ومراداته جملة وكما ازداد تحققاً
بالفقر إلى الله ازداد تعظيماً لله ومعرفة بجلاله ويرى حينئذ أنه لو شكر عبده ربه
بجميع شكر العالمين لم يبق بما ينبغي للجلال فلا يعبد أحد حق عبادته . ولا يبلغ
(هـ - عقود الأمان)

أحد كُنته شكره . ولا يحصى أحد ثناء عليه كما قال الحبيب عبد الله الحداد في مناجاته : وقد علمت حين أعجزتني عن إحصاء مالك على من النعم ، أن عجزى عن القيام بشكرها أبلغ وأتم . ومتى بلغ العبد هذا المقام خلصت أعماله عن الشوائب . وتحقق بالعبودية الخالصة واعترف بالعجز والتقصير . ولازمه الاضطرار إلى الله في كل نفس ولاذ بالتوبة والاستغفار من التقصير في كل لحظة .

قال الحبيب عبد الله الحداد رضى الله عنه : بحق أقول لا يستطيع أحد أن يتقرب إلى الله تعالى بشيء أفضل من التحقق بأوصاف العبودية من الفقر والذلة وإظهار المسكنة والتواضع والانخفاض إلى غير ذلك من أوصاف العبد انتهى .

والمراد بالفقر شعور القلب بافتقاره إلى الله في كل أحيانه . فإذا تأملت ما أشرنا إليه علمت أن هذا مقام عظيم . رفيع القدر بعيد الغاية لا يدرك بالتمنى ولا ينال بالهوى ولا يحصل عليه العبد بمجرد خواطر تخرى على قلبه ولا بمُنى يتمناها . فلا بد مع معونة الله من رياضة قلبية ومراقبة للنفس وحفظ للخواطر وقمع للأهواء ونفى للحظوظ ، وللمقام كما قال الإمام القشيري في تعريفه : ما يتحقق العبد بمنزلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف . ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف أى فلا باتى عقوا صفوا غالبا فجاهدوا تشاهدوا . هذا ، وأما سبيل الاجتناء والاختصاص فله مجال آخر . وإنما تكلم في شأن السير والسلوك . يحتجى إليه من يشاء ويهتدى إليه من يندب .

فليعلموا ما ذكرناه من الأحوال والمقامات قل من يصل من السالكين إلى ذلك في أول خطوة فهذا جمع السادة للملويون بين طريقة الرياضة الظاهرة وطريقة الرياضة الباطنة من غير غلو ولا ابتداع لبستعينوا بإحداها على إدراك الثانية وإحكامها فيكون ذلك أنجع وأسرع .

وقد ذكر الشيخ العلامة العارف بالله أحمد بن المبارك جواباً عن شيخه
 القطب الرباني السيد الشريف عبد العزيز الدباغ نافعا في بيان الفرق بين هاتين
 الطريقتين وإمكان الجمع بينهما فنورده اغتناما لما فيه من الفوائد . قال رحمه
 الله تعالى : وسأله الفقيه المذكور أيضا عن طريق الشكر وطريق المجاهدة
 أيهما أولى بما نصه .

(ومنها) سيدي رضى الله عنكم وأرضاكم ما الفرق بين طريقة الولي
 العارف الشاذلي وأتباعه . وطريقة الغزالي رضى الله عنه وأتباعه حتى إن الأولى
 مدارها كلها على الشكر والفرح بالنعم من غير مشقة ولا كلفة . والأخرى
 مدارها على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع وغيرها . فهل هما يسيدي
 متوافقان على الرياضة وإنما يأمر الشاذلي بالشكر بعد القرب للوصول أو عنده
 أو هو أمر بالشكر والفرح بالله من أول وهلة وحين البداية . وهل الطريقتان
 يمكن سلوكهما لرجل واحد أو لا يمكن أن ينتفع بإحدهما إلا بالإعراض عن
 الأخرى جوابا شافيا .

(فأجاب) رضى الله عنه بأن طريقة الشكر هي الأصلية وهي التي
 كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم وهي عبادته تعالى
 على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز
 والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها ، وسكون ذلك في القلب على ممر
 الساعات والأزمان . فلما علم تبارك وتعالى الصدق في ذلك أثابهم بما يقتضيه
 كرمه من الفتح في معرفته ونيل أسرار الإيمان به عز وجل . فلما سمع أهل
 الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم فجعلوا
 يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ما حصلوا .
 فالحجزة في طريقة الشكر كانت من أول الأمر إلى الله وإلى رسوله لا إلى

الفتح ونيل الكشوفات . والمهجرة في طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل
المراتب . والسير في الأولى سير القلوب . وفي الثانية سير الأبدان ، والفتح في الأولى
هجومى لم يحصل للعبد تشوّف إليه فبينما العبد في مقام طلب التوبة والاستغفار
من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين . والطريقتان على صواب لكن طريقة
الشكر أصوب وأخلص . والطريقتان متفقتان على الرياضة . لكنها في الأولى
رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه وتعالى وإلزامها العكوف على بابه واللجوء
إلى الله في الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلة المتخللة بين أوقات الحضور .
وبالجملة فالرياضة فيها . تعليق القلب بالله عز وجل والدوام على ذلك وإن
كان الظاهر غير متلبس بكثير عبادة . ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم
وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الأبدان .
(وقال مرة أخرى) بعد قواه والمهجرة في طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل
المراتب : ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فينقطع قلبه مع الأمور
التي يشاهدها في العوالم ويفرح بما يرى من الكشف والمشى على الماء وطى
الخطوة ويرى أن ذلك هو الغاية . وهذا من الذين خلت قلوبهم من الله عز وجل
في بداية الأمر ونهايته . فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : ومنهم من تتبدل نيته بعد الفتح ويرحمه
الله تعالى ويأخذ بيده فيتعلق قلبه بالحق سبحانه وتعالى ويعرض عن غيره : وهذه
الحالة التي حصلت لهذا بعد الفتح هي كانت البداية في طريق الشكر . فإيا بعد
ما بين الطريقتين وتباين ما بين المطلبين ، وبالجملة فالسير في الأولى سير القلوب . وفي
الثانية سير الأبدان . والنية في الأولى خالصة وفي الثانية مشوبة : والفتح في
الأولى هجومى لا تشوّف من العبد إليه فكان ربانيا . وفي الثانية نيل بحيلة
وسبب فانقسم إلى الوجهين السابقين : والفتح في الأولى لا يناله إلا المؤمن
العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح في الثانية فإنك قد سمعت أن للرهبان

وأخبار اليهود رياضيات توصلوا بها إلى شيء من الاستدراجات قال رضى الله عنه : ونحن في هذا الكلام نتكلم على الرياضة مطلقا كانت من الحق أو من المبطل . (ولسنا) نتكلم على رياضة أبي حامد الغزالي رضى الله عنه بالخصوص فإنه إمام حق وولى صدق .

(وقولكم) وهل يمكن سلوكهما لرجل واحد . (جوابه) أنه يمكن ذلك في بينهما فيمكن من الشخص أن يعلق قلبه بالله عز وجل في سائر حركاته وسكناته ويقيم ظاهره في مجاهدات الرياضات والله تعالى أعلم اهـ .

فما ورد في هذا الجواب تعلم أن طريقة الشكر هي طريقة الأنبياء والأصفياء وأن طريقة المجاهدة التي شرحها الإمام الغزالي طريقة حق أيضا . ونريد ذلك بيانا بأن طريقة الشكر أصعب على النفوس الغافلة من طريق المجاهدة والرياضة وأن ما أسسه السادة العلويون من الإستمسك بالطريقتين . بكلمتا الدين هو الأمر الذي لا مندوحة عنه لمن أراد النجاح والفلاح في السير والسلوك . وقد شرح ذلك القطب العارف بالله عبد العزيز الدباغ نفسه في جواب له نقله تلميذه العلامة العارف بالله أحمد بن المبارك القاسي فقال : (سألته رضى الله عنه) بعض الفقهاء عما قيل إن التربية انقطعت فهل ذلك صحيح أم لا ومن نص السؤال قوله : ما نقل عن الشيخ زروق رضى الله عنه انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان فهل ذلك خاص بزمانه أو هي منقطعة إلى نزول سيدنا عيسى عليه السلام . إلى آخر السؤال . (فأجاب) رضى الله عنه بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عن وجهتها . ثم قطع الباطل عنها تارة يكون صفاتها في أصل خلقها بأن يطهرها الله بلا واسطة . وهذه حالة القرون الثلاثة

الفاضلة الذين هم خير القرون . فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه إذا ناموا ناموا عليه ، وإذا أสติقظوا أستيقظوا عليه . وإذا تحركوا تحركوا فيه . حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله ورسوله . باحثة عن الوصول إلى مرضاتهم . فلهذا كثر فيهم الخير وسطع في ذواتهم نور الحق وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيف ولا يطاق فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها وإنما يلقي الشيخ مريده ، وصاحب سره ، ووارث نوره . فيكلمه في أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوفها إلى نهج الرشاد . وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه اعنى قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت الطويات . وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات . واستيفاء اللذات فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقي مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلقاً بالباطل ونيل الشهوات ويجد ذاته تتبع العقل فتلهو مع اللاهين . وتساهو مع الساهين وتميل مع المبطلين . وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة من حيث إن العقل الذي هو مالسكها مربوط بالباطل لا بالحق فإذا وجدته على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى . وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذي كان في لسانه وبتقليل الأكل يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة فيرجع العقل إلى التعاق بالله ورسوله . فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء اطاقت ذاته حمل السر فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة . ثم بقي الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام فصار أهل الباطل يرتبون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تفضي بهم إلى مكر من الله واستدراجات وكثر

هذا الأمر في الأعصار التي أدركها الشيخ زروق رضى الله عنه وأدركها شيوخه
فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه
التربية التي كثر فيها المبتلون . وأن يقفوا بالناس في ساحة الأمن التي لا خوف
فيها ولا حزن وهي اتباع السنة والكتاب الذين لا يضل من اهتدى بهما
فكلامهم رضى الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط ولم يريدوا رضى الله
عنهم الانقطاع رأسا للتربية الحقيقية وحاشاهم من ذلك فإن نور النبي صلى الله
عليه وآله وسلم باق . وخيره شامل ، وبركته عامة إلى يوم القيامة اه . .

وبما نقلنا وشرحنا قام الدليل على صحة ثناء من تقدم ذكره على طريقة السادة
العلوية وأنها التي بشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار الرضية وسيرة
السلف الكرام لأنهم تلقوا ذلك خلفا عن سلف وأبا عن جد إلى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فكان ذلك دليلا ثبتت قواعده واستقامت شواهد
والله ولي التوفيق .

وتعلم من ذلك أيضا أن طريقهم لم تكن شيئا استحدثوه بعد ظهور
الطريقة الغزالية والطريقة الشاذلية ولكن كان ما توارثوه موافقا لما فاعتمدوها
لما كان فيهما من الغناء والكفاية عن التأليف والجمع . ومعرفة لهم كان على
الاقتداء بالمشايخ والملازمة لهم والتربية بالعمل . والأخذ بالحكاية والمشافهة .
وما يسرى من الصفات والأسرار بالمخالطة للأشياخ مع المحبة والتعظيم . وقول
بعض المؤرخين كالجندى والغساني الرسولى والشرجى إنهم كانوا يعرفون
قبل ذلك بانفقه أى قبل أخذ الفقيه المقدم خرقه التصوف عن أبي مدين .
إنما يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون بالتصوف والطريقة الاصطلاحيين
ولما ذكر قال حبيب عبد الله الحداد إن المراد بالأخذ في سند الأباء التأدب
والتربية فحسب .

بيان أن الطريقة العلوية تنقسم

إلى خاصة وعامة

أعلم أن لهم طريقة خاصة ونعني بها ما اشتملت على عزائم الصوفية وأنواع الرياضة والأربعينيات على ما هو مبشروح في أصول كتب التصوف كالقوت للإمام أبي طالب المكي وعوارف المعارف للسهروردي والإحياء للإمام الغزالي ومنهاج العابدين وميزان العمل والأربعين له وغير ذلك مما اشتمل على التصوف الواضح المقيد بالكتاب والسنة . ولا سيما كتاب لإحياء . فقد اعتنوا به قراءة ومطالعة ومدارسة وحثاً عليه وسلوكاً به على غير وجه التشدد بحيث لا يبعدون فيه عن السنن المعروفة وكانوا يعدون مطالعته من جملة أعمال الرياضة بل قد يغنى عنها لمن تحقق به وكان الشيخ شعيب أبو مدين لا يكاد يفارق الأحياء وإليه ترجع الطريقة العلوية على المنهج المهود في طرق التصوف وإن كان لهم طريق أخرى عن آبائهم كما علمت ذلك مما سبق .

وكان الامام القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس رضى الله عنه كثير الشناء على إحياء علوم الدين والتفويه به والحث على مطالعته واقتنائه وقد أفرد لها بتأليف خاص العلامة المؤرخ الصوفي السيد الشريف عبد القادر بن شيخ ابن عبد الله بن شيخ بن القطب عبد الله العيدروس وقد طبع مؤلفه المذكور بها مش شرح الأحياء .

ولغيره من أسلافنا نحو ذلك ولا سيما الامام محيى الطريقة ورافع أعلامها الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فمن ذلك قوله رضى الله عنه : من طالع الكتب الغزالية كنفته عن العمل . ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها تم أمره وظهره . ومن طالع إحياء علوم الدين رزق الخوف من الله تعالى . ومن رزق الخوف لم يعرض له ما يعرض للسالكين في سلوكهم . ومن اشتغل بالأحياء قراءة

ومطالعة فقد تحقق بالعلم . لأن قراءته تكفي عن العلم والشيخ . ولا أنفع لأهل هذا الزمان من قراءة الاحياء فهو حياة وسعادة في الدنيا والآخرة . (قلت) والمراد بقوله : كفته عن العمل هو ما أشرت إليه قبل ذلك والله أعلم .

وقال رضى الله عنه : الإحياء معجزة وقد تتبعوا أحاديثه فوجدوا بعضها في الصحاح وبعضها لم يوجد فيها وقال رضى الله عنه : من استشارنى فى قراءة العلم أشير عليه بقراءة الكتب الغزالية فهى هداية لمن قرأها . يزكو عمله ولا يعرض له الرياء بل يكون من المخلصين .

وقال رضى الله عنه فى الإحياء جميع العلوم ما يحتاج من قرأه إلى أن يتعلم على غيره . لأن الشيخ الغزالى لم يصنفه إلا وقد أعطى الكمال فى جميع العلوم . ومن قرأ بداية الهداية رزق الهداية ، ومن قرأ الاحياء خرج عن دائرة الشقاء . ومن أحب الغزالى أحبه الله . وحب الغزالى وحب كتبه وسيلة إلى الله .

وقال نفع الله به . الإمام الغزالى نعمة من الله على هذه الأمة دقق العلوم وغزلها ، وكل عالم ينقص عن مرتبته ، وإما تشفى العليل كتب الغزالى لأنها دواء من أمراض القلوب ، من أراد أن يصحح قلبه فليداوم على قراءتها . ومحبة الغزالى موهبة لا تُكَيَّف . وسوف ترى ذلك فى دار الآخرة ولا يحب كتب الغزالى إلا نير القلب منصف من نفسه . لأنها حق صرف ليس فيها تلبيس . جزى الله الإمام الغزالى عفا خيراً . لقد أرشدنا بكتبه وبركات سره . وما اجتمع أهل الحق على كمال أحد كاجتماعهم على الإمام الغزالى . ولا يتم لسالك سلوكه حتى يقرأ كتب الغزالى فإنها تعينه على السلوك وتخرجه من شر نفسه وغلبة هواه . ويعرف بها كيد الشيطان لعنه الله .

وقال رضى الله عنه : قد انفردت الكتب الغزالية من بين كتب المحققين الصوفية بالجمع والتكرير وحصول التأثير فى الزمن القصير . انتهى .

ولهم في هذا المعنى كلام كثير . فهم يأخذون في العقيدة بما ذكره الإمام الغزالي في كتاب قواعد العقائد مع التزام مذهب السلف من الإيمان والتفويض والتسليم وترك التأويل مع كمال التنزيه وإرجاع العلم إلى الله . وكانوا يعتننون بمذهب الأشعري على ما في رسالته الجامعة المسماة بالإبانة التي مال فيها إلى مذهب السلف كما أشار إلى ذلك القطب الإمام الحداد في كلامه وليس عندي فائقه بلفظه ، وخلاصته أنه قال : إنما أخذنا بمذهب الأشعري لأنه قال آمنا بالله وبآيات الله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله على مراد الله . فالأشعري في الابانة وهي آخر مؤلفاته قال فيها باثبات الصفات الالهية السمعية من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف كما قال القطب الحداد .

وكن في أحاديث الصفات وآيها

على مذهب الأسلاف حيث السلامة

وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرمين وغيرها من أئمة أصحابه المتقدمين في أواخر أقوالهم ، ويكرهون التعلق بعلم الكلام ولا يميلون إلى ماشابه أم البراهين .

وكان الابتداء بحفظ العقيدة للغزالي معروفا عندهم كما هو مشروح في مناقبهم . وأما الأحياء فقد كان من يحفظه عن ظهر قلبه كالعلامة السيد الشريف محمد بن علوي بن علي بن أحمد ومنهم من كرر مطالعته وقرىء عليه حتى كاد يحفظه كالقطب العيدروس وقرأه عليه أخوه الإمام الصوفي علي بن أبي بكر خمسا وعشرين مرة وقرأه ابنه عبد الرحمن بن علي عليه أربعين مرة . وقرىء عليه أربعين مرة فاجتمع له أعنى السيد الشريف عبد الرحمن من قراءة الأحياء وسماعه ثمانين مرة وقرأه الحبيب الجامع للكلمات الحسن بن عبد الله

الجداد أربعين مرة وقرأه عليه ابنه أحمد بن الحسن عشر مرات وهلم جرا .

بل واعتنوا بكتب الإمام الغزالي الفقهية ، وكان بها اشتغالهم في القديم كالفقيه الصوفي أحمد بن عبد الرحمن بن علوي فكان يحفظ الوجيز والوسيط وكان مقصدهم الأعلى ومرمامهم الأقصى من التزام السلوك على ما في إحياء علوم الدين أن يقوموا بأوامر الشرع على الوجه الأتم فيأخذون منه بعد معرفة العلم النافع والعلم الضار ثمرة العلم وهو العمل به ويعرفون آفاته وآداب العلم والمعلم والمتعلم وتصحيح العقيدة وخفايا آداب العبادة وأسرارها ودقائق سننها ومعانيها . وأسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وتركبة النفس من الأخلاق المذمومة ومعرفة حقائقها وأسبابها وآفاتها وعلاماتها وطريق معالجتها وتحلية النفس بالأخلاق الحمودة ومعرفة حقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها وفضائلها وطرُق الحصول عليها .

وقد احترزوا بذلك عن كتب التصوف المشتعلة على الحقائق^(١) المجردة المخالفة لظاهر الشرع وباطنه أو على البدع أو العقائد الفلسفية والعقائد المجوسية الهندية المبنية على وحدة الوجود أي جعل الخالق عين المخلوق . فإن ذلك عين فلسفة أفلاطون اليوناني الكفرية وعين ديانة المجوس الهندية على اختلاف مذاهبها كإبرهمية ودستاكرا . وقد أطلعنا على كتبهم فرأيناها ملفقة من ديانات عديدة من الفلسفة الكفرية والمجوسية والرزادشتية ونحل غلاة الإمامية وضلالاتهم وقد كسوها بقطع من الآيات القرآنية ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة وكلام المشائخ مع تحريف وتخيل فتلك هي التي أسست عليها الطرائق الشيطانية الكفرية التي عنها إمام الحاضر والباد . قطب الدعوة

(١) كيف تسمى حقائق وهي مخالفة لظاهر الشرع وباطنه والشرع هو الحق ومخالفة ليس بحق والحق هو الثابت في هذه التسمية تجوز كبير اه مصحح .

والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد العلوي الحسيني في جوابه لبعض السادة حين سأله واستشاره في أخذ الطريقة عن بعض المشايخ .

(فأجابه) رضى الله عنه بقوله : وأما الأخذ عن الشيخ الذي أشرت إليه فلا بأس به إن كانت طريقته لا تخالف الطريقة التي نحن عليها والتي نأخذها عن أصحابنا بالحال والمقال . فإن الطرق إلى الله كثيرة . وبعضها موافق للبعض . وبعضها قد تخالف من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة . ولكن السالك في أول سلوكه إنما يسلك على الصور أولاً حتى يقطعها ويصير فيها إلى الحقائق وذلك بعد أشياء كثيرة يمارسها وينازلها . وأما طريقتنا فلا تحتاج فيها من حيث الأجمال إلى شرح وإنما هي الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح لا غير . وهذه الجملة تفصيل بطول . ولو وجدنا من صدق في طلبه ورغبته وجدته وتشميره . كما ينبغي من أهل هذا الزمان لكننا شرحنا لهم على التفصيل . وبيان ما يخص منها وما يعم وما هو الأولى ببعض . وما هو الأولى بغيره والحاصل أن طريق أهل هندستان موافقة وقريبة من طريقتنا إلا أنهم يغلب عليهم التحفظ والتمسك بالكتاب والسنة والاحتياط في الدين . وشم طرائق توجد بمجرات أرض الدكن ومجرات أخرى من الهند الأقصى كلها أو أكثرها طرائق شيطانية ممقوتة مؤدية إلى سخط الله وسخط رسوله . نسأل الله لنا ولكم العافية من الفتن انتهى .

والمراد بقوله إلا أنهم يغلب عليهم التحفظ إلى آخره ما يلزم ذلك من التشدد المؤدى إلى العسر والخرج فتفهم .

ومراده بالهند الأقصى جهة آشي هكذا نقله عنه تلميذه العلامة الصوفي الناسك الشيخ سعيد بن الشيخ العلامة الفقيه الصوفي عبد الله بن عثمان العمودي فيما نقله من تقرير الحبيب القطب عبد الله الحداد بهامش رسالة المعاونة وقد انقشرت

تلك الطرائق الكفرية في بلاد الملايو وجاوه ولعل الإشارة منه بقوله : في جهة
آشئ إلى الجميع عافانا الله بمنه وكرمه آمين .

مجاهدات الأشياخ من السادة العلويين

اعلم أنه قد وقع لبعض كبار أشياخ الطريقة العلوية من المجاهدات نحو مما وقع
لرجال الرسالة القشيرية ورجال حلية الأولياء لأبي نعيم رضى الله عنهم أجمعين
وذلك مشروح فيما الف في مناقبهم الخاصة وتراجهم فتمارواه الشيخ على بن
سالم تلميذ الشيخ عبد الله باعلوى أيام إقامته بمكة معه في شهر رمضان قال إذا
فرغنا من صلاة التراويح أحرم كل منابر ركعتين يقرأ فيهما القرآن كله . ولا تتعشى
إلا بعد فراغنا منهما بعد حل الصيام بجرعة ماء أو تمر . وكنت أدرس معه القرآن
فما يذهب كل منا حتى يقرأ نصف القرآن انتهى .

وكان الشيخ محمد بن علوى بن أحمد بن الأستاذ الأعظم بطالع قراءته بالليل
فيستغرق نصفه أو جلّه وربما استغرق الليل كله ، وحكى أنه احترق عليه بالسراج
ثلاثة عشرة عمامة عند مطالعته لشدة استغراقه ، وحكى عن الشيخ محمد مولى
الدويلة أنه مكث نحو عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء . وصام أربعين
يوماً متتابعة في أيام الصيف وكان ابنه الشيخ عبد الرحمن السقاف يتعبد في شعب
النعير ثلث الليل الأخير . وكان يقرأ كل ليلة ختمتين وكل يوم ختمتين ثم صار
يقرأ أربع ختمات . بالليل وأربعاً بالنهار ختمتان من بعد صلاة الصبح إلى الظهر
وختمة فيما بين الظهر والعصر يقرأها في ركعتين وختمة بعد العصر . ومكث نحو
ثلاث وثلاثين سنة ما نام فيها ليلاً ولا نهاراً^(١) . ويقول كيف ينام من إذا نام
على شقة الإيمن رأى الجنة أو على شقة الإيسر رأى النار . وتلك الرؤية تكون

(١) لعل المراد نبي الاستغراق في اليوم لاني أصله في نحو ثلث قرن اه مصححه .

بالبصيرة وقد تنعكس منها إلى البصر فتمثل له بقوة الإيمان واليقين وفي حديث الكسوف في صحيح البخاري ما يقرب ذلك إلى الفهم .

وقد يمكث في شعب نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شهرا لا يأكل فيه إلا نحو كف من دقيق .

وكان ابنه الشيخ عمر المحضار يصبر عن الطعام الليالي والأيام : ومكث خمس سنين لا يأكل مما يعتاده الآدميون ومكث ثلاثين سنة لا يأكل التمر ويقول إنه أحب الشهوات إلى فذلك منعه نفسه . ومكث في ريدة المشقاص شهرا لا يذوق شيئا إلا الماء . ومكث في سفره إلى الحج أربعين يوما ماذا فيها طعاما ولا شرابا ولم تنقص قوته ولم يضعف عن المشي . وجاور بشعب نبي الله هود صلوات الله على نبينا وعليه شهرا لم يأكل فيه سوى رطل سمك . وكان غالب قوته اللبن وله غير هذا من المجاهدات .

وكان ابن أخيه الشيخ عبد الله العيديروس أقام مدة لا يأكل إلا تمر العشرق ومكث سبع سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها . ومضت عليه سنة لم يأكل فيها إلا خمسة أمداد بالمد الشرعي . ومكث شهرا لم يأكل إلا أمداد واحدًا وقال رضي الله عنه كنت في بدايتي أطالع كتب الصوفية واختبر نفسي بمجاهداتهم المذكورة في مؤلفاتهم . ومكث ثلاث سنين يرقد على المزابل رياضة لنفسه . ثم هجر النوم أكثر من عشرين سنة لم يرقد فيها لاليلًا ولا نهارًا . وكان يأخذ الكتاب الذي هو قريب حجم المنهاج فيطالع فيه من أول الليل حتى يأتي على آخره من ليلته تلك . وحكى عنه رضي الله عنه . أنه قال قد أخذُ شيئا من الكتب مثل نشر المحاسن وكتاب أطراف العجائب وقت الظهر وأطالعهُ وأتقن ما فيه فلا يأتي وقت المصير إلا وقد أتيت على آخره . وكنت أود أن أفنى مهجتي في الاجتهاد وأهوى ذلك وأحبه حبا ضروريا انتهى .

وأما أخوه الشيخ علي بن أبي بكر فكان لا ينام من الليل إلا السدس تاليا
للكتاب العزيز متخلقا به وسلوكه على مافي كتاب تحفة المتعبد .

وكان الشيخ القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس فيما حكى من مجاهداته
أنه هجر النوم بالليل أكثر من عشرين سنة . وحكى بعض الثقات ممن خدمه
أكثر من ثلاثين سنة قال ما رأيته استغرق في نومه ثلاث ساعات .

وكان ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن علي يغتسل لكل فرض وكان كثير
التلاوة والأوراد والسهرو كان يقول ما أحب الحياة إلا لمطالعة الكتب ولأزداد
من الخير ولأشرف على العلوم النافعة . وكان من مقروآته على والده الأحياء
قرأه عليه أربعين مرة . وكان يخرج وهو في الصغر مع ابن عمه أبي بكر بن عبد الله
العيدروس إلى شعب النعير بعد مضي نصف الليل للتهجد فينفرد كل واحد منهما
بقراءة عشرة أجزاء في الصلاة ثم يرجعان إلى منزلها قبل الفجر .

وكان الشيخ أبو بكر بن سالم مكث مدة يصوم ولا يفطر إلا على البسر
الغاسي . ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء . وحكى تلميذه الشيخ
حسن باشعيب أنه قد يطوى الأسبوع والأسبوعين . وقد تضى السنة لا يغمض
فيها العين وحكى أنه طوى في (يبحر) تسعين يوما أى ثلاثة أشهر وأنه كان يصلي
الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ويسير في كل ليلة فيزور مقبرة تريم ثم يعود
فيحضر صلاة الصبح بمسجد باعيسى بالاسك قال وسمعت جدى الشيخ أحمد بن حسن
باشعيب أنه قرأ المنهاج ثلاث مرات وفي ذكرى عنه أو عن غيره قرأ الأحياء أو
قال طالعاه أربعين مرة انتهى .

وكان الشيخ عبد الله بن علوى الحداد يصلى من الصغر مائتي ركعة في
مسجد بنى علوى وكان إذا رجع من العلامة أى المكتب ضحى بأنى بعض المساجد
مع رفيقه فى التعليم الشيخ أحمد بن عبد الله بلفقيه فيصلى كل منهما مائة ركعة

وكان يكثر من الذكر ولا سيما بلا إله إلا الله حتى في أثناء مكالمته لغيره وفي أثناء الدرس .

وكان الشيخ أحمد بن زين الحبشي حين الصغر وأيام الصبالة تلهف وتطلع لطلب الزيادة من أفعال الخير والبر ولا سيما طلب العلم فكان يرحل إلى البلدان القريبة من بلده الغرفة إلى شبام وتريس وسيوون ماشيا وإلى تريم لطلب العلم ولا يهتم بل بأمر القوت فيأكل ما وجد ويجاهد نفسه في التقليل حتى صار يكتفي بثلاث لقم ولا يقدر على أكثر منها وقد يشتهي بعض الطيبات فلا يقدر على أكله لضيق أمعائه عن حملها .

وكان لشيخ مشائخنا العارف بالله الحبيب الحسن بن صالح البحر مثل ذلك كما سمعته من الثقات شيخنا وشيخ مشائخنا العارف بالله الحبيب عيديروس بن عمر الحبشي وعرضه على شيخه الحبيب الحسن فاقرة : فمنها تقليل القوت والقيام بالرياضة حتى يبلغ إلى أن نفسه لا تقبل القوت^(١) وإذا أكل في بعض الأحيان جبرا لوالدته لا يلبث في بطنه بل يسرع إلى الخارج فيقذفه ويمكث المدة الطويلة حين طلبه للعلم بتريم على الاسودين التمر والماء .

قال شيخنا وشيخ مشائخنا الحبيب عيديروس إن الحبيب الحسن بن صالح كان يرحل إلى تريم لطلب العلم هو والمعلم عبد الله بن سالم بن سمير ويقيان المدة الطويلة هناك ولم يكن لهما طعام إلا اليسير من التمر غداء وعشاء مجاهدة للنفس واقتداء منها به صلوات الله وسلامه عليه إذ كان عليه السلام يمضي عليه الشهر والشهران وليس له طعام إلا التمر والماء . ثم قال سيدنا الحبيب الحسن للمعلم عبد الله عسى أن تجعل طعامنا التمر بدلا عن التمر فإن نور التمر أتم وأكمل من نور التمر فقال له المعلم : يكفيننا نور التمر وما بقي فينا اتساع لنور التمر اه رواه عنه أحد كبار تلاميذ الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف فيما جمعه من

(١) أى لا تميل إليه ولا تشبهه بل قد تستكرهه وتنفر منه وتجهه اه مصححه .

كلامه (والمراد بالتخ تفل السهم الجاف الخشن بعد عصره وإخراج دهنه) .

وكان أيام إقامته بشبام يفطر في رمضان على خبز الذرة الشَّحْرِيَّة وهي غالباً ليست نقية ولا طيبة الطعم مع القهوة . وقد يصوم الأيام ولا يذوق القهوة حتى عند الإفطار . وكان كثيراً ما يقرأ القرآن في ركعتين . وقرأ في بعض الليالي سورة الاخلاص تسعين ألف مرة ويقع له كثيراً أن يقرأ سورة يس أربعين مرة في جلسة واحدة . ودام على ذكر كلمة التوحيد فظهرت له كشوفات عظيمة . وما كان يسير أيام إقامته بتريم إلا مقنعا رأسه ووقع له فترة في ابتداء أمره عن الذكر بينما هو في تريم فصعد إلى طاقة الحبل الذي هو فيه ثلاثة ادبارك فلقنه أحدهم الذكر بانطق الصريح : والتعبير الفصيح . ومجاهدته وأحواله كثيرة .

وكان لشيخ مشائخنا إمام الأفراد الأكبر عبد الله بن حسين بن طاهر المجاهدات العظيمة في حفظ الأوقات ، والتهجد بالذكر والدعوات . فكان يأتي كل يوم بخمسة وعشرين ألفاً من (لا إله إلا الله) وخمسة وعشرين ألفاً من (يا الله) ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة وعشرين ألفاً مع ماله من الأوراد والأذكار وكان يغتسل ويتطيب لكل فريضة . وأهدى له بعضهم ساعة وعرفه كيف يديرها ، ثم وقفت عن السير فسئل عنها قال لم أجد وقتاً لإدارتها .

وكان الحبيب عمر بن زين بن سميطة من أهل المجاهدات العظيمة لبث نحو سبع عشرة سنة لم يضع جفبه على الأرض .

وكان الحبيب صالح بن عبد الله العطاس له مجاهدات في بدايته مكث ثلاثة أشهر بمسكة لا طعام له إلا ماء زمزم . وكان مستغرق في الله كأننا مع الناس بأننا عنهم .

وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس له مجاهدات وأذكار
وكان ورده كل ليلة قراءة يس ألف مرة ثم اقتصر آخر عمره على مائتين
وخمسين مرة كل ليلة قال شيخنا ولم نطلع على شيء من أوراده الأخرى أو
كما قال .

وكان الحبيب طاهر بن عمر الحداد لا ينام من الليل إلا ثلاث ساعات
وسائر وقته مستغرق بوظائف العبادات لا يخل بها .

قال شيخنا عبادنا في هذا الزمان طاهر بن عمر الحداد وعبد الله بن حسن
البحر وعبد الرحمن بن محمد المشهور وزين بن صالح بن عقيل بن سالم قلت
ولهؤلاء في النسك والانقطاع إلى الله والاستفراق في عبادته ما يطول
فيه الشرح .

وكان جدنا الحبيب عبد الله بن طه الحداد من المتجربين للعلم والعبادة مع
الزهد والتقشف ثم غلب عليه الذكر القاي واللساني ليلا ونهارا يقظة ومناما
حتى عرف بالهدار من كثرة هديره بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم . ونحووا من ذلك كان أبوه عمنا الحبيب صالح
ابن عبد الله الحداد .

وأما شيخنا صاحب المناقب فقد لخصنا شيئا من حاله في الفصل الأول
وسندكر ما تيسر مما لم يسبق ذكره .

الطريقة العاوية العامة

وأما الطريقة العاوية العامة فهي التي يسميها قطب الدعوة والإرشاد
الحبيب عبد الله بن عاوي الحداد بطريق أصحاب اليمين وله في شرحها كلام
في تثبيت القواد ولم يكن عندي حين كتابة هذا ، فنسكتفي بما ذكر صاحب

للقامات والأحوال والعلوم والأعمال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وهو
متضمن له . قال رضى الله عنه وقد ذكر عنده ما كان لبعض الأكابر من
المجاهدات الشاقة :

هذه طريقة خاصة . والسلف يدعون الناس خصوصا أهل الزمان الأخير إلى
الطريقة العامة التي تصلح لكل . وهى أوسع من الطريقة الخاصة وقد كان
صلى الله عليه وآله وسلم يدعو العباد دعوة عامة . ودعوته صلى الله عليه وآله
وسلم هى التي تسع جميع دائرة أهل الإسلام من سائر الطبقات . وطريقة الخاصة
وإن كانت أفضل وأجل وأشرف . ودعا إليها صلى الله عليه وآله وسلم الخواص
لكنها شديدة ، صعبة السلوك على غير الأقوياء من الأمة . ومن طلبها وتعرض
لها من أهل الضعف فقد عرّض نفسه للانقطاع والاضاعة بالكلية . وبفوته
سلوك الطريقين معا . أما العامة فلعدوله عنها . وأما الخاصة فلقصوره وعدم
قوته وقدرته على تحصيلها . فيصير مثاله مثال الغراب الذي أراد أن يتعلم سير
الجمام والقطا ويترك سيره . فلم يتفق له معرفة سير الجمام ثم عاد طالبا سيره الذي
كان عليه فلم يعرفه ولم يحسنه . فصار حائرا عاجزا عن السيرين وقد قال سيدنا
الحبيب عبد الله الحداد في بعض ما نقله عنه تلميذه الحساوى :

ولا يليق بأهل هذا الزمان إلا هذه الطريقة السهلة دون الأخرى وأين
الناس اليوم — إلى أن قال — منذ ابتدأنا سابقا إلى الآن ما أشهرنا أنفسنا
بطريقة السابقين لا سابقا ولا لاحقا ولا سلكناها بين الناس ولا سلكنا فيها
أحدا . وأين الزمان من الزمان . والناس من الناس طالبا أو مطلوبا (قات) فإذا
جاءكم أحد لا يعرف طريق السابقين ولا طريق أصحاب اليمين فماذا يفعل .

(قال) : يعمل على ما نحن عليه فما يرانا نفعله يفعل كما ترى من إقامة الصلوات

وقراءة القرآن وترتيب الأذكار وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك .
 فهل علمت أحدا لام على ذلك من علماء الحرمين أو غيرهم أو سمعت من ينكر
 هذه الطريقة . قلت لا . قال : فهذه طريقة أصحاب اليمين وهى اللائقة .
 فينبغى لأهل الزمان طريق العموم لتعذر طريق الخصوص والافكم من واحد
 يظن بنفسه أنه مثل الشيخ عبد القادر وهو ما يكون شوكة في رجله اه .

وقال الحبيب المكاشف بالاسرار الغواص في بحر المعارف والأنوار عمر
 ابن طه بن عمر البار في إجازة منه ووصية للحبر الهمام والسيد الإمام محمد بن
 عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن محمد بن سيدنا عبد الله الحداد بعد وصيته
 بالتقوى وأوصيه بلزوم طريقة سلفنا آل أبى علوى رضى الله عنهم ونفعنى
 ببركاتهم لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح وتصحيح التقوى .
 والزهد في الدنيا . ولزوم التواضع ومعاينة العبادة ومواصلة الأوراد . واستشعار
 الخوف . وكمال اليقين . وتحسين الأخلاق . وإصلاح النيات وتطهير القلوب
 والطويات ومجانبة العيوب الخفيات . والعكوف على بساط الذكر بالقلب
 واللسان مع الخشوع والحضور فإنه بغير ذلك قليل الجدوى المؤثرة في القلب ،
 ويكون في ذلك كله على النمط الأوسط بلا تكلف ولا تخلف ، قال الاحسانى
 فيما نقله عن سيدنا الحبيب عبد الله من كلامه . قات يامولانا إذا جاءكم أحد
 لا يعرف طريقة السابقين ولا طريقة أصحاب اليمين فإذا يفعل قال نفع الله به
 يعمل على ما نحن عليه كما ترى من إقامة الصلاة وقراءة القرآن وترتيب
 الأوراد وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك فهل رأيت أحدا لام على
 ذلك من علماء الحرمين وغيرهم أو سمعت أحدا يفكر هذه الطريقة قلت لا قال
 فهذه طريقة أصحاب اليمين وهى اللائقة فينبغى أن يطلق لأهل الزمان طريق العموم
 لتعذر طريق الخصوص اه .

واللسان في تبين هذه الطريقة العامة كلام كثير ونقله يطول وقد ذكره
 بطوله مع غيره ، شمس المعارف الحبيب عيدير وس بن عمر الحبشي في عقد
 اليواقيت فنقل فيه عن الحبيب عبد الله الحداد والحبيب أحمد بن زين الحبشي
 والحبيب طاهر بن حسين وأخيه الحبيب عبد الله بن حسين والشيخ عبد الله
 بن أحمد باسودان ، وللحبيب العلامة الإمام محسن بن علوي بن سقاف السقاف
 كتاب (تعريف الخلف بسيرة السلف) جمع فيه كثيراً طيباً وهو مطبوع وكذلك
 للحبيب عبد الله بن علوي العطاس تلميذ صاحب المناقب مؤلف مطبوع اسمه :
 (العلم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس) شرح فيه الطريقة العلوية وخلاصة
 ذلك لزوم تقوى الله بامثال الأوامر واجتناب النواهي وبذل الجهد في تطهير
 القلب من الرياء والكبر والحسد وغيرها من الأخلاق السيئة والورع والزهد ،
 وملازمة الصلوات في الجماعة ، وترتيب الأوراد وحفظ الأوقات وحضور مجالس
 العلم والذكر وتلاوة القرآن مع التدبر والاكتثار من الذكر مع الحضور والبعد
 عن الجنود والعامة الخلطين وعن الاضداد الذين يضادون المرء في أعماله وأخلاقه
 ومقصده . وترك الترفه . وإدمان المطالعة في الكتب النافعة من كتب التفسير
 والحديث والتصوف والأخذ من علم الفقه بقدر الحاجة التي تصح به العبادة
 والمعاملة دون علم الحيل والتجريف . وهم يخصصون كتاب الأحياء بعناية في قديم
 أمرهم وحديثه وترك كتب التصوف المشتبهة والمتهم أهلها بالخروج عن الإسلام ،
 أو عن العقيدة السنية أو القول باسقاط التكالييف أو بوحدة الوجود أو المعزوجة
 بالفلسفة . ولا بد مع ذلك من الأخذ عن الشيخ الكامل ومحبه وتعظيمه
 والانتواء فيه ومجانبة الفضول ومالا يعني . وقد يأمرؤن بخلوة ثلاثة أيام أو
 خلوة أسبوع وإن تكررت وهي المعروفة بالخلوة العيدر وسية لها أذكار خاصة
 وكل ذلك مشروح في كتبهم ، ولا سيما رسالة المرید ورسالة المعاونة للحبيب
 عبد الله الحداد بل وسائر كتبه وأسرار علوم المقربين للسيد محمد بن عبد الله

العبدروس والكبريت الأحمر للقطب العبدروس ومناقبه للشيخ عمر بن عبد الرحمن الحسيني صاحب الحمراء وكذلك سائر كتب تراجمهم والله الموفق والمعين .

قال القطب عبد الله بن أبي بكر العبدروس رضى الله عنه في اختصار السلوك خلوة ثلاثة أيام وخلوة أسبوع وخلوة أربعين يوماً فأما خلوة ثلاثة فهي الاثنين والخميس والجمعة . ولها وظائف دوام الذكر بالليل والنهار . والاعتزال في زاوية . وأكلة بعد العشاء وترك النظر إلى الحرام . ولا ينام حتى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة وحده : يا كريم يا رحيم ألف مرة . والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف مرة . فقد فتحت لجماعة في هذه .

وأما خلوة الأسبوع فبالصوم والعزلة والسهر والذكر إلا من ضرورة وترك ذكر الدنيا وأهلها وكذلك خلوة الشهر . وكذلك الأربعين .

وقال في وصية أخرى . وههنا نصيحة مليحة وهي قراءة مختصر عبد الله بافضل وأر بعمينة مختصرة وهي الخميس والجمعة بصيام وجوع وعزلة وسهر وصمت وذكر ويفطر على نصف مد ويكون ذكره لا إله إلا الله محمد رسول الله وترك ذكر الدنيا وأهلها اه بتصرف لفظي .

وقد أشار إليها الحبيب عبد الله الحداد وعقبها بقوله : والشيخ نفع الله به من أجلاء المحققين المطمئنين من أسرار الطريقة على أشياء كثيرة خفيت على المتقدمين انتهى .

عقيدة العلويين عقيدة أهل السنة والجماعة

قال قطب الدعوة والارشاد . الحبيب عبد الله بن علوى الحداد : وعليك بتحصيل معتقدك وإصلاحه وتقديمه على منهاج الفرق الناحية . وهي المعروفة من بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة . وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم

عن قلب سليم . في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان وطالعت
سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة
الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله الذي رتب
قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها ، وهي العقيدة التي أجمعت عليها الصحابة
ومن بعدهم من خيار التابعين وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان
وهي عقيدة جميع أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري رحمه الله في
أول رسالته . وهي بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين
المعروفين بآل أبي علوي . وعقيدته أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم إلى يومنا هذا . وكان الإمام المهاجر إلى الله جد السادة المذكورين
سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم
لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها . ولم
يزل يتنقل في الأرض حتى أتى أرض حضرموت وأقام بها إلى أن توفي فبارك
الله له في عقبه حتى اشتهر منهم الجهم الغفير بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة . و
يعرض لهم ماعرض لجماعات من أهل البيت النبوي من انتحال البدع والأهواء
المضلة ببركات نية هذا الإمام المؤمن . وفراره بدينه من موطن الفتن
فإن الله تعالى يجزيه عنا أفضل ماجزى ولدا عن ولده ويرفع درجته مع آبائه
الكرام في عليين ويلحقنا بهم في خير وعافية غير مبدئين ولا مفتونين إنه
أرحم الراحمين .

والماتريديّة كالأشعرية فيما تقدم .

وينبغي لكل مؤمن أن يحصن معتقده بحفظ عقيدة الأئمة الججمع على
جلالتهم ورسوخهم في العلم ولا أحسب مبتغى ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة
بعيدة عن الشبه ، سالمة من الأشياء الموهمة ، مثل (عقيدة الإمام الغزالي)

رضى الله عنه التي أوردتها في الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الأحياء
 فعليك بها فإن تشوّفت إلى مزيد فانظر في (الرسالة القدسية) التي أوردتها
 في الفصل الثالث من الكتاب المذكور ولا تتوغل في علم الكلام ولا تكثر
 الخوض فيه لجرد طلب التحقق في المعرفة فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا
 العلم ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسوك طريقته ، وهي التزام
 التقوى ظاهراً وباطناً وتدبر الآيات والأخبار والنظر في ملكوت السموات
 والأرض على قصد الاعتبار وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كشافاتها بحسن
 الرياضة وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر والإعراض عما يشغل عن
 التجرد لهذا الأمر فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت إن شاء الله على
 المطلوب وظفرت بالأمر المرغوب . والصوفية إنما جاهدوا أنفسهم وبالغوا
 في رياضتها وفطموها عن عاداتها ومألوفها ، نفعهم بتوقف حصول كمال
 المعرفة على ذلك وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقق بمقام العبودية الذي هو
 بغية العارفين وأمنية المحققين رضى الله عنهم أجمعين . وقال رضى الله عنه في
 بعض قصائده :

عليك بتحسين اليقين فإنه إذا تم صار الغيب عيناً بلانُكِرَ
 وكن أشعرياً في اعتقادك إنه

هو المنهل الصافي عن الزيف والنُكِرَ
 وقد حرر القطب الإمام ملاذناً عقيده فهو الشفاء من الضر
 وأعنى به من نُسِ ينعت غيره بحجة إسلام فيالك من فخر
 وقال في التائية .

وكن في أحاديث الصفات وآيها
 على مذهب الأسلاف حيث السلامة

وله رضى الله عنه كلام نحو ما ذكرناه فى كلامه ومؤلفاته فليرجع إليه من أراد .

وقد ذكر الإمام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ما يشبه ذلك فى رسالة له ذكرها شيخنا وشيخ شيوخنا الحبيب عيديروس بن عمر الحبشى فى عقد اليواقيت الجوهرية . واكتفى القطب العيديروس الأكبر فى الكبريت الأحمر ، فى عقيدة أهل السنة والجماعة بذكر منظومة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى الرائية وقال فى بعض فصول كتابه المذكور وكل من اعتقد الحلول والاتحاد فقد كفر وقال فى بعض وصاياه : اعتقادنا اعتقاد الاشعرية . ومذهبنا مذهب الشافعية على مقتضى الكتاب والسنة . وقال فى بعض رسائله الله لا إله إلا هو الحى القيوم الموجد الموجودات ، اه وهذا رد على أهل وحدة الوجود كما يفهم ذلك من عرف مقاصدهم وفلسفتهم اليونانية أو الهندية المجوسية .

وقال رضى الله عنه : عقيدتى أشعرية هاشمية شرعية كمقائد الشافعية والسنية الصوفية أهل السنة وكرر ذلك فى ألفاظ يحقق بها ذلك وقد ذكرنا خلاصة كلامه .

وأمر الحبيب عبد الله الحداد بعض تلاميذه باعتماد عقيدة السهروردى المسماة اعلام الهدى كما أمر آخر بحفظ عقيدة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى مقتصرًا منها على ما ذكره العيديروس فى الكبريت الأحمر .

ولسيدنا الحبيب عبد الله الحداد عقائد وجيزة جامعة كنت جعلت لها مقدمة قلت فيها بعد الكلام :

ولقد صدرنا ذلك بعقيدة إجمالية . هى العقيدة التى كان أسلافنا رضى الله عنهم يلقنونها أهلهم وإخوانهم ومن بعد ومن قرب من جيرانهم ، وعوام بلدانهم . وهى عظيمة النفع . جلية الوقع . بل هى كنز من الإيمان مشتملة على

غاية الرضاء والاذعان . ونهاية القبول والتسليم . لما جاء به النبي الكريم .
من الدين القويم . نقلناها بنصها من كتاب النصائح الدينية . والوصايا الإيمانية^(١) .
لسيدنا علم الاعلام ، وشيخ الإسلام ، مرشد العباد إلى طريق الرشاد ، السيد
الشريف العارف بالله عبدالله بن علوى بن محمد الحداد العلوى الحسينى ثم عززناها
بالعقيدة الجامعة له أيضا وهى التى ختم بها كتاب النصائح المتقدم ذكرها وقال
فيها : خاتمه الكتاب فى عقيدة وجيزة جامعة نافعة إن شاء الله تعالى على سبيل
الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة والسواد الأعظم من المسلمين . ثم اتبعناها
عقيدته : العقيدة السديدة الموافقة للكتاب والسنة الحميدة . نقلناها من مجموع
مؤلفاته نفع الله به آمين . وقد طبعت بعناية حفيده المنقشة فيه أخلاق أهليه
والسارى نور أسرارهم فيه . الحبيب علوى بن محمد بن طاهر الحداد السيد
الشريف العلوى الحسينى ، وقال فى المشرع الروى : كان شمس الشموس . الشيخ
عبد الله العيدروس . إذا أخذ العهد بأمر المريد بالتوبة والاستغفار وأن يقول
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله .
وعذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين والبعث والميزان والصراط والجنة
والنار . رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً ورسولاً
ورضيت بك شيخاً واسطة إلى الله تعالى . ثم يقول : مذهبنا فى الفروع
مذهب الشافعى . وفى الاصول مذهب أبى الحسن الأشعرى . وطريقتنا طريقة
الصوفية انتهى .

وذكر القطب العارف بالله أبو بكر بن عبد الله العيدروس فى الجزء اللطيف .

(١) شرح هذه العقيدة الشيخ حسين محمد محبوف شرحاً مفيداً طبع عدة مرات بمصر والتف
به خلق كثير .

نحو ذلك إلا أنه قال : وفي الأصول شيخنا الأشعري . وفي كتاب من القطب
الحداد إلى أخيه الفاضل السيد حامد وكان في الهند قال : فإنه قد بلغنا ما كثر
في أرض الهند من مضلات الفتن وما ترادف بها من البلايا والحن . وما قد
حصل بين أهلها من الخلاف والشتات وعدم الانتظام . وهذا بلاء عظيم .
وأفحش منه واشنع وأقطع ما بلغنا من ظهور من تظاهر ببغض للشيخين الصديق
والفاروق رضى الله عنهما وتدين بالرفض المذموم شرعا وعقلا . فإننا لله وإنا
إليه راجعون وهذه هي المصيبة العظمى ، والداهية الدهياء .

وفي كتاب آخر لبعض مريديه : وما ذكرتم من جهة كتاب الفصول المهمة
التي في مناقب الاثنى عشر الأئمة فهو كتاب مليح . وليس في مطالعته محذور .
ونحن قد حصلناه وطالعناه ومصنفه من أهل السنة والجماعة . وتخصيصهم بذكر
مناقبهم لا يدل على شيء . فقد ذكر الشيخ ابن حجر مناقبهم والثناء عليهم في
البرصواعق . وذكر مذهب الغير لا يلزم منه الأخذ به فشان المصنفين والعلماء نقل
المذاهب ونقل أقوال الموافقين والمخالفين والمذكورون في الكتاب من أكابر
السلف الصالحين ومن أئمة الدين . وإنما المحذور حصر الإمامة الظاهرة كما تقول
به الفرقة المخالفة . وفقنا الله وإياكم وجعلنا من الذين هدام لما اختلف فيه من
الحق بإذنه انتهى .

وقال العلامة الحبيب علوى بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن علوى الحداد
في قول جده الحبيب عبد الله .

والمذهب المستقيم أسلكه نص الكتاب وصرح الخبر

والمذهب المستقيم أى مذهب أهل السنة والجماعة اتبعه كأبائى من لدن جده .
عليه السلام وعلى والحسين إلى كافة أصواه وأسلافه العلويين انتهى .

وذكر الحبيب العلامة الداعى إلى الله شيخ مشائخنا محسن بن علوى بن

سقاف السقاف في كتابه (تعريف الخلفاء ، بسيرة السلف) وهو الذي طبع عام ١٣٥٨ مع مقدمة لحفيده السيد العلامة محسن بن عبد الله بن محسن بن عاوى نحو ما تقدم وذكر نقلا عن غرر البهاء الضوى للعلامة المحدث السيد محمد بن على خرد العلوى الحسينى قوله :

فسيدينا عبيد الله بن أحمد بن عيسى وذريته وهم أشرف حسيديون يمنيون عزّ مثلمهم في الناس لقول الإمام سفيان رحمه الله خمسة عزوا أى قل وجودهم وذكر منهم الشريف السنى . وطريق هؤلاء المذكورين سنيّة ، وأخلاقهم نبوية ، يعرف ذو الانصاف بديهة أنهم حقيقة سادة قادة أشرف ذوو انصاف واتصاف . ثم قال ناقلا عن الحبيب عبد الله الخداد : وقال رضى الله عنه اثنان لهم المنة على آل أبى علوى سيدينا أحمد بن عيسى خرج بهم من الفتن والبدع . والفقهاء المقدم سلمهم من حمل السلاح .

وسلفنا ينفون عن علم الكلام ويأخذون في آيات الصفات وأحاديثها وفي التشابهات بالتفويض والتسليم والإيمان وعدم التكليف والتشبيه مع عاية التنزيه والتقديس وتعظيم جانب الألوهية وقد قال الحبيب عبد الله الخداد في مجموع كلامه : مامعناه : إنما أخذنا بقول الأشعرى لأنه يقول : آمنت بالله وبآيات الله وبرسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد الله ومراد رسول الله أو كما قال وقد طال عهدى به .

والإمام الأشعرى قد قال في الإبانة وهي عقيدة جامعة بناها على ما كان عليه سلف الأمة .

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته ورسله وبما جاءوا به من عند الله . وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نرد من ذلك شيئا . وقال أيضا : ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا . ولا نقول على الله ما لا يعلم .

وقال أيضاً : والقرآن على ظاهره : وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة ،
وإلا فهو على ظاهره . ثم قال : ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير
حجة ولا برهان .

وعليك أن تعتقد أن ما صرح به سلفك من أنهم على مذهب السنة والجماعة
من لدن آبائهم إلى اليوم حق وصدق ليس فيه تأويل . ولا يدخله تخصيص
ولا يسمع معه قول معترض . ولا نقد ناقد ولا تكذيب مفقون .

وأن ما قالوه ثابت لديهم بالنقل أبا عن أب وخلفاء عن سلف ، مؤيد بالنقول
العريضة الواضحة المسندة في كتب الحديث . كما في كتاب ثناء القراية على الصحابة
وثناء الصحابة على القراية وغيره . أخرج الحافظ ابن أبي نعيم في حلية الأولياء
بسنده عن علي زين العابدين بن السبط الشهيد الحسين بن علي على مشرفهم
وعليهم الصلاة والسلام قال : أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم فلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين : ألا تخبروني . أتم
المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله
ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . قالوا : لا ، قال فأنتم الذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون ، قالوا : لا . قال أما أتم فقد تبراكم أن تكونوا
من أحد هذين الفريقين ، ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل
فيهم والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . أخرجوا
فعل الله بكم .

وروى أيضاً بسنده إلى علي بن الحسين أنه قال : يا معشر أهل الكوفة .

أحبونا حب الإسلام ولا ترفعونا فوق حقتنا .

وروى أيضاً بسنده إلى يحيى بن سعيد قال سمعت علي بن الحسين واجتمع عليه ناس فقالوا له ذلك القول . فقال لهم : أحبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار عارا علينا فهذا بعض ما روى في ذلك عن زين العابدين وروى بسنده عن أبي جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين عن عروة ابن عبد الله عنه قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف فقال : لا بأس به . قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه . قال قلت : وتقول : الصديق قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصديق . فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة .

وأخرج بسنده عن جابر عنه قال : قال لي محمد بن علي : يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويزعمون أني امرتهم بذلك فابلغهم أني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم . ولا نالني شفاعته محمد إن لم أكن استغفر لهما واترحم عليهما . إن أعداء الله لغافلون .

وأخرج بسنده إلى شعبة الخياط مولى جابر الجعفي قال : قال لي أبو جعفر محمد بن علي لما ودعته أبلغ أهل الكوفة أني بريء ممن تبرأ منهم من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وارضاهما .

وأخرج بسنده عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي . قال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة وقال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة : سألت أبا جعفر وأبنيه (يعني جعفر الصادق) عن أبي بكر وعمر فقالا يا سالم توكلهما وابرا من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى قال الحافظ الذهبي وإسناده صحيح وابن فضيل وسالم من أعيان الشيعة الصادقين .

وأما الإمام جعفر الصادق : فقال الحافظ ابن حجر في ترجمته . وقال :
 علي بن الجعد عن زهير بن معاوية أنه قال لأبي جعفر بن محمد إن لي جاراً يزعم
 أنك تبرأ من أبي بكر وعمر فقال جعفر برىء الله من جارك والله إني لأرجو أن
 ينفعني الله بقرايتي من أبي بكر . وقال حفص بن غياث سمعت جعفر بن محمد
 يقول ما أرجو من شفاعته على شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعته أبي بكر مثله .
 وفي المشرع . وعن سالم بن أبي حفصة قال دخلت على جعفر بن محمد أعوده
 وهو مريض فقال : اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما اللهم إن كان في
 نفسي غير هذا فلانا لتني شفاعته محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا ثقة غير أنه
 شيعي غال يبغض الشيخين انتهى قلت كونه شيعياً غالياً الخ : دليل قوي على صحة
 روايته هذه فضلاً عن ثقته في نفسه لأنه روى ما هو حجة عليه ورواه عن جعفر
 الصادق الذي يعتقد أنه إمام من أئمة قال في المشرع . وقال له جعفر : يا سالم
 أيسب الرجل جده : أبو بكر رضي الله عنه جدي . وما أرجو من شفاعته على
 شيئاً إلا وأرجو من شفاعته أبي بكر مثله وعن العباس الهمداني لما أردنا
 السفر من المدينة أتانا جعفر بن محمد فقال : إنكم إن شاء الله من صالحى أهل
 مصركم . فابلغوهم عنى من زعم أنى إمام مفترض الطاعة فأنا منه برىء . ومن
 زعم أنى أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه برىء . قال في المشرع : وقيل له ان
 قوما يزعمون أن من طلق ثلاثاً بجمالة رد إلى السفنة يجعلونها واحدة ويروونها
 عنكم . فقال : معاذ الله . ما هذا قولنا . من طلق ثلاثاً فهو كما قال :

قلت وقد سئل الإمام النقيب محمد الأزرق بن علي العريضي عن هذه المسئلة
 فأجاب بمثل جواب جده وبهذا ومسائل أخرى استدل على أنه لم يكن إمامياً
 كما زعم الخراصون .

وقد روى ذلك محمد بن منصور الكوفي الراوى بإسانيد متعددة عن الإمام

جعفر الصادق من رواية الحسين بن زيد بن علي عنه ومن رواية أبي حمزة وحاتم وأبي حمزة وإبراهيم بن يحيى والسري بن عبد الله السلمي ومحمد بن علي بن جعفر قال حدثني محمد بن جعفر عن أبيه عن أبي جعفر أن رجلاً سأله فقال: إنه طلق امرأته ثلاثاً فقال: قد أخطأت ولزمتك خطؤك .

والمراد بمحمد بن علي محمد الأزرق جد الإمام أحمد بن عيسى المهاجر ومحمد ابن جعفر هو عمه المعروف بالديباج وهو الذي بوع بالخلافة في الحجاز في سنة فتنة الأميين والمأمون وكان ابن أخيه محمد بن علي العريضي وهو المعروف بالأزرق ممن بايعه وكذلك أخوه علي العريضي . ورواه عن جعفر الصادق غير هؤلاء . قال محمد بن منصور حدثنا أبو كريب عن حفص بن غياث قال سمعت جعفر بن محمد يقول من طلق ثلاثاً فهن ثلاث وهو قولنا أهل البيت من طلق ثلاثاً فهن ثلاث .

قال محمد بن منصور سألت أحمد بن عيسى بن زيد عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فقال بانت منه لا نقول فيها بقول الرافضة .

وبه قال وسألت محمد بن علي بن جعفر عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فقال أنا أشدد فيه يعني يوجبها ورجال السند هم محمد الأزرق بن علي العريضي بن جعفر الصادق عليهم السلام ، وهذا كله من كتاب بدائع الأنور في اختلاف علماء أهل البيت تأليف محمد بن منصور المرادي .

سبب الاطالة في ذكر اعتقادهم

قد يستكثر بعض الناس ما كتبناه هنا عن اعتقاد السادة العلويين ويعجب لذلك لأنه أمر متواتر عنهم مشهور بين الناس ، ثابت في مؤلفاتهم وتراجمهم ومؤلفات غيرهم ممن تعرض لذكرهم .

ونقول إن السبب في ذلك أنه قد حدث في عصرنا وهو عصر الفرائب

أن بعض المشار إليهم قام منافحا عن الامامية^(١) وعن مذهبهم فردّ على أهل السنة والجماعة انتصارا لهم . بل وردّ على الزيدية للخلاف القديم الذى بينهم وبين الامامية . لأن مذهب الامامية أو من قال ذلك منهم وجوب قتال الزيدية قبل قتال الكفار ، لأنهم عندهم هم الكفار ، القريبو الدار . وتأوّنوا فى ذلك قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) . فهم وفاء بالغلظة يقتلون الأطفال منهم ومن لا يقاتل كما تفعل الخوارج . وهذا هو أحد الأسباب فى تجدد الثورات والكوارث فى اليمن لأن فيها امامية فى حراز ونجران وعدن ومواقع أخرى . فلذا تبرع نصير الامامية المشار إليه بالرد على الزيدية كارد على الأشعرية وارتكب شناعة أخرى ما كان لها بمخلّيق ، ابتعد بها عما كان لسلفه الصالح من معتقد وطريق . ذلك بأنه زعم أنهم منذ كانوا لم يزالوا إمامية . ومعنى الامامية الرافضة . والامامية يقولون بفسق وكفر الصحابة إلا نفرا قليلا . وبفسق وكفر جم غفير من أهل البيت . فجدد الصحيح المشهور المتواتر عن سلفه بمزاعم مردودة . وخيالات عن وجه الصواب مصدودة . وتلفيقات لا سائغة ولا محمودة . ومحاولات ما هى فى قيس النظر والبرهان معدودة . وكأنه اغتر بكلام بعض الامامية الغالية غير كاشف عن باطن ما هم عليه . ولا معطيا للنظر حقه . فإن الامامية من بين فرق الأمة . قد تفرقت بددا ، وتمزقت قديداً . حتى قيل فى غلاتهم إنهم خمس عشرة فرقة . وفيهم ظهرت الشنائع التى لم يسمع بها ولا بما يقاربها فى سائر فرق الأمة . كاقول بالحلول والتناسخ والرجعة والاظلة بتطبيقات الآفاق على النفس أو الأشخاص على الظلال أو العالم الأكبر على العالم الأصغر وتؤويل ظاهر الشرع

(١) هم الشيعة الامامية أو الاثنا عشرية أما الزيدية فهم فرقة أخرى من الشيعة ينسبون إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم وبينهم وبين الامامية خلاف ونزاع كبير كما ذكره المؤلف وكل منهما فرق متناكرة .

إلى ما يناقضه فقابلوا الأمر بالترك . والنهي بارتكابه وجعلوا لكل شاخص روحاً وأولوا التنزيل وادعى بعضهم الأئمة الألوهية أو النبوة . وزعموا سقوط التكليف وأطراح الأحكام والأعمال . ونشأت عنهم الفرق المجوسية المتظاهرة بالإسلام المستبطنه للكفر حتى صاروا بذلك عنصر الدجل والدجالين . وقالوا بالتناسخ وجعلوا له مراتب كالجوس وأنكروا القيامة وقالوا بالفيض والتجلى وأنكروا الإبداع والقدرة والإيجاد والصفات . وقالوا بالحروف العالمية بما يشبه القول بالمثل الأفلاطونية . وعنهم نشأت فرق القائلين بوحدة الوجود . وقد ابتدأت فرق الإمامية في تلك الشذاعات من زمن الصادق . بل ومن قبله .

ثم أشار (ذلك المنافع عن الإمامية) إلى تأويل معنى الإمامة إلى ما يشبه ما يقوله الإمامية من صحة وجود إمام لا بيعة له ولا أنصار ولا ظهور وبلا أمر ولا نهى ولا عمل ظاهر به يقتدى ، ولا علم منتشر به يهتدى ولا قيام بأحكام الشرع وتنفيذها ولا إمرة ولا قوة فزعم أنها القطبانية التي قال بها السادة العلويون كأنه لا يعلم أن القول بالقطبانية قال به الصوفية من قبل ، وإنما تصوف السادة في القرن السابع بعد ما امتلأت الدنيا تصوفاً إلى غير ذلك مما لا حاجة للتطويل فيه ، على أنا لم نقطع الرجا أن يلهم الله ذلك المشار إليه رشده . ويملاً بنور الهداية قلبه ، فيراجع الحق الذي هو أولى به بفضل من الله ورحمة .

على أنه ليس من الصواب ولا الفعل الجميل إذا انتحل المرء نحلة أو زل في طريق النظر زلة أن ينحلها الأبرياء . ويرمى بها أناساً قد قدموا إلى ربهم وأفضوا إلى عا عملوا . وضبطت القوارىخ حقائق سيرهم ، وصرحوا بالحض من عقائدهم ، ليس له أن يتهم أسلافنا بما برأهم الله منه ولا أن ينسب إليهم هذه الجملات . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

نهيهم عن مطالعة كتب الرقائق المجردة

وما فيه الشطح والزيف

قال الحبيب عبدالله الحداد رضى الله عنه في رسالة المعاونة بعد أن أثنى على الكتب الغزالية وأوصى بها . وعليك بالاكثر من قراءة كتب الحديث والتفسير ومن مطالعة كتب القوم عامة فإن ذلك فتح عام . وسلوك تام . ولكن ينبغي لك أن تحتز من مطالعة ما يشتمل من رسائلهم على الأمور الغامضة . والرقائق المجردة . وهذه الأشياء توجد في أكثر مؤلفات الشيخ محمد بن عربى وفي شيء من رسائل الإمام الغزالي كالمعراج والمنظوم به .

وقد ذكر الشيخ زروق في تأسيس القواعد قاعدة في التحذير من الكتب التي تجرى هذا الجرى فراجعها إن شئت ، ولم يذكر من جماتها مؤلفات الشيخ عبيد الكريم الكيلاني لأنه متأخر ومؤلفاته من عند آخرها مما ينبغي الاحتراز منه اشارة للسلامة . (فإن . قال قائل) لا بأس على من مطالعة هذه الكتب لأنى أخذ ما أفهمه وأسلم ما لا أفهمه لقائله . (قيل له) قد أنصفت ونحن إنما نخشى عليك مما تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل . كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا إلى زندقة وإلحاد ، وقالوا بالحلول والاتحاد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اهـ .

وإنما صار أولئك إلى الزندقة والإلحاد والعياذ بالله لأنهم اتبعوا ما تمضييه نصوصها ومنها الصريح الذى لا يمكن تأويله . وقد حاول قوم تأويلها إلى ما يوافق عقائد المسلمين فلم يأتوا بشيء مقبول لغلو عباراتها في الضلال والبعد عن الحق . ولم يتأت لهم ولا يتأتى لأحد بعدهم أن يصلح فسادها ، ولا أن يقيم معوجها ومبيدائها : كما قال ذلك الحبيب الحداد في رسالة منه لتلميذه الحبيب العارف بالله أحمد بن زين الحبشى قال فيها :

وما استشرتم فيه من تحصيل كتاب اليواقيت للشيخ الشعرائي رحمه الله
فالنواب في هذه الساعة تأخير التحصيل له . لأن الكتاب فيه أشياء مشككة
وهو كالمستغنى عنه بما قد ألفه المتقدمون من المتكلمين والحققين ، وإنما تأليف
الشيخ له فيما يظهر لمعنى قصده يتعلق بالشيخ ابن عربي رحمه الله وتجاوز عنه .
وذلك أمر لا يتم للشيخ الشعرائي ولا غيره اهـ .

وما أشار إليه عن الشيخ زروق فقد رأيناه في سفينة الإمام الحبيب العارف
بالله أحمد بن زين الحبشي المسماة (سفينة النجاة والكمال ، من شرطغيان طوفان
العقلة والجهل والضلال) في مجلد منها أطلعنا عليه السيد الفاضل المقبل المتحري
عبد القادر بن سالم بن طه الحبشي نقلا عن الإمام زروق .

(فائدة) حذر الناصحون من تلبيس ابن الجوزي بل ومن مواضع في
مواضعه ، وفتوحات الحاتمي ، وتائية ابن الفارض بل كل قصائده أو جلها ،
ورجال الششتري ، وتأليف شيخه ابن سبعين ، وكتاب خلع النعلين لابن قسي
وابن وسكين والعفيف التلمساني والعجمي الايكي الأقطع وابن اجلا ومن نحو
نحوهم . واختلف الناس فيهم اختلافا متباينا فمن معتقد فيهم الولاية ومن معتقد
فيهم الغواية . ومن أخذ بالتسليم ، ومن قائم بالحق وهو أخذ البين بنفسه ،
وترك ما عداه لا ربا به . مع حسن الظن بالجميع وبالله التوفيق .

وقال في موضع آخر قال الإمام زروق في شرح المباحث وأما القول بالظهور
والحلول فكفر وقد رمى به جماعة منهم الحلاج والشودي وابن أعلا (كذا)
وابن قسي وابن ذوسكين (كذا) وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين
والعفيف التلمساني والعجمي الايكي والقطع الششتري في آخرين ذكرهم وقال
بذلك أبو حيان في كتاب النهر والبحر عند قوله تعالى وقالت اليهود الآية . ثم
قال زروق وقد تقدم الجواب عنهم وأن الظن بهم البراءة مما رموا به ولكنهم

خاقت عليهم العبارة عن حقائق ودقائق صريح العلم فأدّت بظاھرھا مايتوهم ،
وھم براء منه وھذا معتقدا فيھم . وعند الله الموعد انتهى .

(قلت) صريح كلام الشيخ زروق أنه لا يجرّحهم ولكنه يجرّح كتبهم
ويقول بخطأ ما فيها . ولتردده هذا أسباب . منها أن يكون ما قالوه مع سكر
وغيبية ، ومنها أنهم أرادوا بذلك معاني صحيحة لم تقم عبارتهم بإيضاحها فكان
ظاھرھا باطلا . ولم يذكر الحامل لهم على إبقائها بعد إفاقتهم وفيها ما يضل به
الناس . بل ما ينافي دين الإسلام جملة كافية وما يكون مماثلا لديانة بعض الفلاسفة
اليونان بل ولديانة المجوس الهندوك .

ومن أسباب تردد الشيخ زروق أنه يقع لبعض الصوفية المستقيمین على
الشرع وعقائد الإسلام حال يسمونه (الفناء) يذهب معه شهود هذا الوجود
فلا يرى إلا الله . وهذا فناء شهود لا فناء وجود فالوجود باق . ولكن غمزه
ماورد عليه فاخفى عن نظره ماسواه . وقد يكون ذلك لكلال بصيرة المشاهد أو
اقوة الوارد . والمغمور معذور . حتى عند إفشاء بعض الأسرار والعلوم الكشفية
قال الحبيب عبد الله الحداد :

وإن الذى أفشى من القوم ماسبيـهـ له الستر مغمور بحالٍ قويّة

وقد ترك الشيخ زروق عددا ممن يقول بوحدة الوجود أو يقول بالشطح
وما ينافي ظاهر الشرع وباطنه منهم عبدالرزاق القاشانى المتوفى سنة ٧٣٩ ومنهم
شهاب الدين السهروردى المقتول قتله صلاح الدين سنة ٥٨٧ وهو غير صاحب
عوارف المعارف ومنهم صدر الدين القونوى ونجم الدين بن إسرائيل وعفيف
الدين التماسانى وأبو الحسن بن الجربى . ومنهم أهل الطريقة المولوية وهم اتباع
جلال الدين الرومى صاحب ديوان المثنوى المتوفى سنة ٦٧٢ وابن سبعين المتوفى
سنة ٦٦٧ ومن الفرس فريد الدين العطار وسعيد الدين الفرغانى ومجد الدين

سنأى المتوفى سنة ٥٤٥ هـ ومنهم جلال الدين وقد ذكرناه وعبد الرحمن الجامي .
فهذا المذهب الخطر كما يظهر من تواريخ وفيات من ذكرنا ظهر في بلاد الفرس
قبل ظهوره على يد متفلسي أو متصوفي المغاربة الذين هاجروا إلى الشرق .
وبلاد الفرس أقرب إلى الهند معدن القول بمذهب وحدة الوجود والقائلون به
هم مجوس الهند البرهمية والبوذية المختلطة بالبرهمية وهي قديمة هناك قبل البعثة
وفلاسفة اليونان القائلون بها إنما أخذوها عنهم وكلمهم يحدون الله ويقولون
بهذا العالم فقط كالدهرية وهم أصحاب رياضات ومجاهدات زادوا بها ضلالا .

قال في (عقد اليواقيت الجوهريّة) ففي مواهب القدوس في مناقب الشيخ
أبي بكر العيدروس للشيخ محمد بن عمر بحرق قال سمعت سيدي يعني الشيخ
أبا بكر المترجم له يقول لا أذكر أن والدي رحمه الله ضربني ولا انتهرني قط
إلا مرة واحدة بسبب أنه رأى بيدي جزءاً من الفتوحات المكية لابن عربي
فغضب غضباً شديداً فهجرتها من يومئذ . قال ، وكان والدي ينهى عن مطالعة
كتابي الفتوحات والفصوص لابن عربي ويأمر بحسن الظن فيه وباعتقاد أنه
من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين بالله تعالى . ويقول إن كتبه اشتملت
على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات فتضر بأهل البدايات اهـ .

ومما كتب به سيدنا قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد إلى
بعض أصحابه : لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربي وأضرابه فإن ذلك معجزة
وربما دعا بعض الناس إلى الدعوى بما لا يبلغه وعليك بالعلوم الغزالية وما جرى
مجراها من الصوفيات والفقهيات التي هي علوم الشرع وصریح الكتاب والسنة
فثم السلامة والغنمية وأحترز مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان
سلكه انتهى .

وقد عقد رضى الله عنه فصلاً في كتابه رسالة (المعاونة) في النهي عن

مطالعة كتب كثير من المصنفين عين بعضهم فلم ينظروا مريد الاطلاع عليه
في موضعه .

وعلى طريقة هذين الشيخين القطبين سيدنا تاج الرؤس عبد الله العيدروس
وإمام الأفراد ، عبد الله الحداد ، أكثر السادة آل أبي علوى أو كلهم في
النهى عن التعلق بكتب الرقائق المجردة مع اعتقاد مصنفها . اه المقصود منه .
وقد يستغرب الناظر قول الإمام زروق وأما القول بالحلول والظهور
فكفر مع وقوفه مع التسليم وحسن الظن ، والصواب أنه لا غرابة في ذلك
لأن بعض من ذكر ولا سيما ابن عربى تنافض أقوالهم فتارة يقولون بهذا
وتارة يقولون بذلك ويثبتون أمراً ثم يأتون بما يمنعه وقد يكون عن غلط أو
لأمر آخر قد نشير إليه فيما يأتى .

قال شيخ مشائخنا السيد أحمد دخلان في تقريب الأصول .

قال الإمام القطب سيدنا عبد الله العيدروس رضى الله عنه : ليس لنا
طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة . وقد شرح ذلك سيد المصنفين ، وبقية
المجتهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشأن الملقب
إحياء علوم الدين الذى هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة والحقيقة ،
فعليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً واعتباراً واعتقاداً وشرح
الكتاب والسنة في الكتاب إحياء علوم الدين ثم قال : قال فى المشرع الروى ،
وكان العيدروس رضى الله عنه ينهى أصحابه عن مطالعة الفتوحات المكية
والفصوص ويأمرهم بحسن الظن فى الشيخ محيى الدين بن عربى واعتقاد أنه من
أكابر الأولياء العارفين وماذاك إلا لعلوها عن فهم العوام وغموض معانيها على
كثير من الفهوم ، بخلاف كتب حجة الإسلام الغزالي إلى آخر ما قال .

قلت ما قاله صاحب المشرع معقباً لكلام القطب العيدروس ليس بوجيه

بن هو كالمناقض لكلام العيدروس رضى الله عنه والصواب أن نهيه عن مطالعتها لما فيها من الكلام المناقض لعقائد الاسلام ودين الاسلام وأما معانيها على ما يقتضيه ظاهر لفظها وسياقها فيفهمه كل من شدا علما ، ولو اعتذر بأن ظاهرها غير مراد أو أن معناها الحقيقي مستور باصطلاحات واستعارات لكان اعتذارا مفهوما . ولكن يبقى الجواب عن الحامل لابن عربى على هذا المركب الصعب الذى يركبه . والفائدة التى حصلت للامة الخمدية من صنيعه . ثم ذكر عن الجلال السيوطى اعتقاد ولايته . وتحريم النظر فى كتبه وكذلك قال ابن حجر فى فتاويه . ولكن شيخ شيوخنا دحلان قال أيضا فى محل آخر وسئل الشيخ أحمد الرملى عن القائل بوحدة الوجود . فقال : يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب لأن قوله هذا لا يقبل تأويلا . وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى ، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل انتهى .

(قلت) أما الشيخ ابن حجر فقد اضطرب كلامه واختلط مع حكايته الكفر عن بعض من طالع تلك الكتب والحكم الشرعى الفقهى فيما كان كذلك تحريم مطالعتها من باب سد الذرائع وقد اعتذر عنها الشيخ ابن حجر بأن فى تلك الكتب مواضع عبر عنها بما لا يطابقه ظواهر عباراتها ، اتكالا على اصطلاح مقرر عند واضعها ، وقد كرر ذلك فى فتاويه مع أن المتحرى إذا نظر إلى معانى الاصطلاحات الصوفية وتفسيرها فى العوارف . وفى رسالة الإمام الغزالى التى أجاب بها من استشكل مواضع فى الاحياء وفى رسالة القشيرى ومنازل السائرين للهروى ثم قابل بينهما وبين رسالة ابن عربى والجرجانى وكلاهما فى الاصطلاحات وجد أن المراد مختلف بين فريق الصوفية الخالص وفريق القائلين بوحدة الوجود . فلكل اصطلاحات توافق مذهبهم وفى كتاب الهروى

مالا يناسب كلام غيره وما فيه إيهام شديد . وفي جامع أصول الأولياء للنقشبندی كثير من الاصطلاحات المضرة .

والشيخ ابن حجر كما تدل عليه إبحاته الفقهية شديد الذكاء والإدراك وأحسبه لم يطالع شيئا من تلك الكتب ففى كلامه ما يدل على أن فيها ما يوهم الحلول والاتحاد وهذا لا يرضى به القائلون بوحدة الوجود . فإن الحلول يستلزم اثنين حالا ومحلولا فيه . وكذلك الاتحاد فإنه من باب الإفتعال كالاقتران يستلزم مقترنا ومقترنا به فالإتحاد يستلزم اثنين متحدا ومتحدا به . وهم لا يقولون بهذا . ومن العجب أنه فى أحد أجوبته فى فتاوية الحديثية أنكر على قوم من جهلة المتصوفة الذين يشتغلون بمطالعة . كتب ابن عربى واتباعه مع خلوهم عن العلوم الرسمية ، والأحوال الكشفية ، واتصافهم بالجهل المحض . ويتخذونها ديدنا حتى يفهموا منها غير المراد وهو لاء الكفر أقرب إليهم من الإسلام ولقد شاهدنا جماعة منهم يأكلون فى رمضان . ويختلون فى نهاره بالمرد فى الحمام . ويفعلون أقبح من ذلك . ويقولون . نحن لانشهد إلا الله . وهذه التحليلات والتحريمات إنما يخاطب بها المحجوبون عن الله وأطال فى ذلك — وقال : إن قوما يستبيحون أكل أموال الناس بالباطل وتلبيهم مطالعة كتب ابن عربى عن الجماعة وأداء الفرائض . ولقد شافنى بعضهم بكثير مما قدمته . وبعضهم يقول . العالم قديم . والكفار لا يعذبون فى جهنم اه .

وهذه الأقوال التى حكها عنهم موجودة فى تلك الكتب فما العذر فى عدم القطع فى الفتوى إلا ما قلناه إنه لم يطلع عليها كما نظن والله اعلم .

ومع هذا كله فله فتويان إحداهما بعد الأخرى جوابا لمن سأله عن حكم مطالعة تلك الكتب قال : فى أولها ينبغى للإنسان أن يعرض عنهما بكل وجه أمكنه . وفى الثانية قال : إن مطالعتها جائزة بل مستحبة .

فما قاله السيد زيني دحلان إنه أي ابن حجر رجع عن التأويل ربما كان ذلك في فتاوية المنثورة التي جمعها بعض تلاميذه ولم تنشر وقد وقفت على بعض جوابات مأخوذة منها والله اعلم .

فعليك أن تتمسك بما قاله الإمامان عبد الله العيدروس وعبد الله الحداد من تحريم مطالعتها وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وكفى بهما حجة للمعتدي ، وقدوة للمعتدي ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

الفصل الخامس

في التحذير من الطرائق الشيطانية الممقوتة المؤدية

إلى الزندقة والكفر الصريح

ذكرنا فيما سبق ذكر الحبيب عبد الله الحداد لهذه الطرائق الشيطانية الممقوتة وأنها كانت موجودة في جهات أرض الدكن من الهند وفي آشي وأنها المراد بقوله : وبجهات أخرى من أقصى أرض الهند . وفي كلامه هذا ما يفهم منه أنهم كانوا يسمون سمطرا التي منها آشي وجهاتها من الجزائر الجاوية وغيرها بذلك الاسم أي أقصى الهند أو الهند الأقصى .

بل إن الأمر أشد من ذلك فإن تلك الطرائق الكفرية منتشرة في بلاد الملايو وجاوه وما والاها وفي بلاد الزنجبار وبلاد الصومال وفي عدن وأرباضها وبعض قرى لحج وكلها منتشرة بالانتساب إلى الطرائق المشهورة كالنقشبندية والقادرية وبعضها غير منتسب . وشيوخهم قد يكونون من الجهال البحت أو من الذين ادركوا علما ناقصا أو من المكبين على كتب الكيلاني أو من بعض فرق الإسماعيلية الغالية المقلونة بلون أهل التصوف أو من أهل وحدة الوجود المتمجسة .

وقد رأينا منهم في بلاد الزنجبار من مواليد العرب من لا يتدين ولا يصلي

ومن سائر سكانها أيضاً جرى لنا معهم واقعة مشهورة . ولقينا في عدن وبلاد الحبشة مع أتباع حسن الضالعي الباطني المشهور وكان قد ادعى أنه من السادة آل باهرون وما وجدنا له نسباً وأخبرني سلطان الضالع أنه كان من رعيته وخداميه وليس من السادة وجعل لنفسه دعاة ونقباء وآوى إلى جانب في جبل يافع يسمى في القديم حجر ويقال له الآن بلاد المفلحي اجتمعت باحد نوابه و ببعض أتباعه وأطلعت على مكاتبات له ورسالة وسيأتي ذكر بعض مكاتباته التي أمرني شيخنا فقرأتها عليه في مجلس جمع عدة من الفضلاء وسألني رضى الله عنه ماذا أنكرت فيها فاخبرته . فحكى سيدى بعقب ذلك قصة بعض من ولع بامثال ذلك من سكان بلد الخريبة بجهة وادى دوعن فلما مات وكان الحبيب عبد الله الحداد حينئذ هناك في بعض زياراته فسألوه ماذا يفعلون بكتب الرجل المشار إليه فأمرهم أن يدفنها معه خوفاً من شرها وفتنتها .

ولما كنت بالحبشة وكان بعض طلبة العلم من الحنفية يقرأ عندي في بعض كتب الماتريدية في علم التوحيد وأكثر الحنفية ماتريدية . والماتريدى والأشعرى هما شيخا أهل السنة والجماعة . وبينما نحن في أثناء ذلك جاء رجل من أهل اليمن ذوجبة وعمامة فجلس وكانت القراءة في صفات الله العلى من القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام . وأخذت أقرر ذلك لطالب العلم المشار إليه واذكر له ما لا بد منه من أنها صفات ذاتية لله لا تشبه صفات المخلوقين أزلية دائماً فاعترت ذلك اليمنى بغتة وسألني هل الأمر هكذا . قلت له نعم هذا اعتقاد المسامين . فقال : اليس سمعنا هو سمع الله . وبصرنا بصر الله . فقلت له اليس كما تقول . فمن علمك هذا قال علمنية رجل من نقباء حسن الضالعي جاء إلى هنا وأمرني بأن آتى كل يوم بمائة ألف من قولى : أنا الله . وقال لى : إذا دمت على ذلك فسيمكن لك شأن كبير وسيطيعك الناس ويتبعوك مثل هيلاسلاسى أى ملك الحبشة . فقلت له وهل حصل لك ماقاله : قال : لا بل احترق بيتى وماتت

امرأتى وابنى وكرهنى الناس . فبيّنت له حقيقة دين الإسلام . وأرجو أن يكون الله قد تاب عليه ووصلتنى رسائل من مؤلفاته طبعوها فى مصر أرسلها إلى بعض أهل السنة والجماعة من أهل عدن .

وكنّت مرة فى عدن فذكر لى بعض أصحابى شاباً من بعض البيوتات العريقة المشهورة منعزلاً فى بيته حافظاً لجوارحه السبعة فوقع فى قلبى منه شيء ثم أخبرنى بعضهم أن فلاناً يتردد عليه . فخفت أن يكون أضله لأنى قد علمت أن فى أرباض عدن باطنية يقولون بوحدة الوجود وقد كتب شيخ منهم مرة كتاباً لشيخنا الحبيب العارف بالله محمد بن طاهر بن عمر الحداد على لسان التصوف وعلوم الحقائق فأجابه شيخنا بجواب يؤنبه ويعاتبه لما فى كلامه من سوء الأدب مع الله .

ثم كان من الصدف أن خرج ذلك الشاب من عدن لزيارة حضرموت . وجاء إلى مع جماعة من أهل دوغن وباتوا عندنا ليلة أو ليلتين فسمعتهم يتحدثون بالإنكار عليه أنه لا يصلى وألحوا عليه ليقوم فيصلى الصبح فلم يفعل فنصحته ووعظته فرأيت أنه ينظر إلى كأنه يستجھلنى باني واقف مع ظاهر الشرع وهو قد وصل إلى الحقيقة وعزمت مع أولئك الأصحاب لزيارة حريضة وهو معنا ولم يصل لله ركعة . واغتذمت الفرصة ليلة فى مجلس انعقد فى بيت السادة آل طالب آل العطاس فنصحته وذكرت له أعمال السلف الصالح كالعيدروس الأكبر وغيره . فالتفت إلى . وقال : وهل العيدروس يعرف التوحيد . فقلت له نعم وهو من أشد الناس قياماً بحق الله وعبادته وأداء فرائضه . وسيد الموحدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم قام الليل حتى ورمت قدماه فقليل له : يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال أفلا أكون عبداً شكوراً . وإذا توحيدنا غير توحيدهم فتوحيدنا هو الإيمان بالله وحده وتوحيدهم

الكفر بالله وجحد وجوده . نسأل الله الثبات على الإيمان والإسلام حتى نلقاه
برحمته ومنه تعالى .

وجاءني كتاب مطول من رجل آخر من أهل (عدن) أراد أن يختبر
باطن أهل تلك النحلة لأنهم يتكتمون حقيقتها ويأخذون على من يريد دخولها
عهوداً وأيماناً ثقيلة فقبلوه ومكث معهم مدة . فلما كان ذات ليلة وقد اجتمعوا
عند شيخهم قام فيهم وابتدأ يبين لهم خطأهم قال . فصاح الشيخ يقول .
محجوب . محجوب . فصاح الحاضرون بصوت واحد . محجوب . محجوب . محجوب .
قال وطال الكلام بيني وبينهم وهم لا يردون على إلا بقولهم : محجوب .
حتى خرجت من بينهم بعد تهديد ووعيد .

ولما كنت في جاوه كنت أسمع عن أناس شيئاً لم يتحقق لي حتى جاء إلى
بعض أساتذة مدرسة فحدثني عن فئة كثيرة العدد تنكر النبوة والدين . وتقول
بالطبيعة وبالعلم وهم يسمونه (كورو) أي أن لكل شخص معلماً باطنياً فقلت
إنما يحكى مثل هذا عن غاندى واتباعه من المجوس فهل هؤلاء الذين ذكرتهم
متبعين ففهم الكلام وذهب .

وكنت يوماً في بعض مدن (الملايو) فجاءني رجل بكتاب يسألني عن
صحته وهو مطبوع . فرأيت في علم التوحيد فلما تصفحته رأيت أنه يجعل صفات الله من
السمع والبصر إلى آخر مسائل التوحيد للإنسان فاشتبهت ذلك الصنيع الوقح
الجرى . لأن المؤلفين في تلك النحلة الباطلة كانوا يتسترون بها ويكسونها بكسوة
صوفية . ويخاطون بها جملاً من كلام أهل التصوف ، وعرضت على كتب عديدة
أكثرها مطبوع بمكة وبعضها مطبوع بمصر بلغة الملايو فأفتيت بحرمة قراءتها
وكلامها في هذه النحلة . وأخبرني بعض القضاة أنه صادر مجلداً كبيراً كان طبع
بمصر يؤكد فيه مؤلفه عبادة الفضاء . وهذه نخلة هندية محبوسة لأنهم مفترقون
إلى مذاهب عديدة .

وأطلعنا على غير ذلك مما لا نطيل فيه ، وفيما ذكرناه دلالة على ضلال
المتكتمين .

ثم كشف الله حقيقة تلك الطرائق الضالة بسعى بعض طلبة العلم النبهاء من
الملايين واستولى على عدد من كتبهم المخطوطة وكانوا يكتبونها أشد السكتم
فخلص ما فيها من العقائد الكفرية وكلها تدور حول « وحدة الوجود » وهي
متضمنة لإنكار وجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار
وإنكار الأحكام والحلال والحرام ولهم رياضات ذكرهم فيها قوهم : لا آله
إلا أنا ، بدلا عن قول المسلمين لا إله إلا الله ، ويتبع ذلك أمور شنيعة
لا أستحسن ذكرها هنا لشدة فظاعتها وقذارتها مما لا يوجد نظيرها لا في دين
اليهود ولا النصارى .

وقد رأينا تفاصيل نحلتهم ، وفلسفتهم أو ما يسمونها أسرار دينهم مثل
ما كانت تقوله فرق الشيعة الغالية من الإسماعيلية وغيرهم مجموعا إليه فلسفة
مجوس الهند القائلين بوحدة الوجود مع دعارتهم وبذاءتهم .

وكل ما ذكرته هنا من وصفهم لا يؤدي حقيقة ما هم عليه . فإنه أخبث
وأفحش وأشد رجسا وقذرا من كل ما يخطر بالبال ، وإذا خلوا بأنفسهم فلا
يصلون ولا يصومون ، وإذا حضر من يتخوفون منه أن ينم عليهم تظاهروا
بالصلاة والصوم رياء ونفاقا . هذا مع تسترهم بطرائق الصوفية . وتظاهروا
بالإسلام ونقلهم بعض أقوال مشائخ الصوفية المشتبهة والجملة فيحرفون معناها
إلى ما يقولون ، ولا يعتقدون بشيء وراء هذا العالم ويصوبون كل الأديان ،
وعباد الأوثان والأصنام والحيوانات وكلها عندهم هو الله ، ولا يحرمون فرجا
من ذكر أو أنثى ، وأعظم ذكرهم ما كان عند مقارفة الفاحشة . ولا يحرمون
شيئا بل دينهم الإباحة وإسقاط التكليف ، ويجوزون الكذب والغدر والسرقة

إذا أتقنها ولم تؤده إلى السجن ، ويعبدون أنفسهم ويؤلهونها ويعبدون فرجى الذكر والأنثى مثل مجوس الهند فان معابدهم مملوءة بصورها وهم يبالغون في عبادتها والخضوع لها ويمجى هناك من أعمال الدعارة والفحش ما لا نظير له . وهؤلاء يعبدون المنى والعناصر من التراب والماء والنار والهواء ويعبدون الأم والأب والجن والشياطين مع تكذيبهم بالشيطان بالمعنى الذى يعرفه المسلمون . ويعبدون لذة الجماع ولهم فيها فلسفة وهذيان . كما ينكرون وجود الله ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم مع ذكره في كتبهم ولكنهم يريدون به معنى آخر في فلسفة وهذيان إلحادى ويقولون ان محمدا الذى في المدينة مجازى . وفي كتبهم نقل كثير من كتب القائلين بوحدة الوجود ، ومنها أخذوا . وعليها اعتمدوا .

وأما التوحيد فلا يقصدون به أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو مقرر في كتب التوحيد الإسلامية . وإنما التوحيد أن تعتقد أنه ليس في الوجود رب وعبد ، ولا آله ومألوه ، ولا خالق ومخلوق . بل ما هناك إلا العالم وهو الذى يسمونه الله . وهذا هو مافى كتب أهل وحدة الوجود مع سفسطة وتذبذب ولا سيما في مؤلفات التلمسانى والقونوى ، وأما ابن عربى فإن في كتبه كثيرا من المعانى الإسلامية والآداب والوصايا وقد يتكلم بالاعتقاد الصحيح كقوله فيما لا بد للمريد منه : « كذلك جاء في السنة » كان الله ولا شىء معه « قال وزاد العلماء وهو الآن على ما عليه كان ، ولم يرجع إليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود . فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم ما تعتقده فيه ولا عالم ولا شىء سواه انتهى .

وهذا كلام مقبول في الجملة . ولكنه ينقضه بأقوال أخرى كثيرة . والمتلمسانى يرد كثيرا على ابن عربى لما في كلامه من روح الإسلام وأقوال

التصوف الإسلامي وإن كان في مواضع أخرى يأتي بكلام المتصوفة الفلاسفة
الاشراقيين أو الافلاطونيين وغيرهم ويذكرون في كتبهم اصطلاحات الصوفية
من البقاء والفناء والكشف والتجلى ويفسرونها بمعنى مجوس الهند أهل وحدة
الوجود كما في طريق فائزل الجوسية .

وبالجملة فمن اطلع على كتب أهل تلك الطرائق عرف كنه البلاء العظيم
الذي اجتهد في إثارتة متصوفة الحقائق فافسدوا به دين الإسلام وأضلوا به أئمامن
الناس في أقطار كثيرة .

ولقد كننا نقرأ ما يحكيه المؤرخون عن القرامطة وأهملهم وعقائدهم وما ينسب
إلى فرق الغالية من الشيعة والفرق الجوسية المتظاهرة بالإسلام كالخرمية والراوندية
والكيالية فنستبشعهم وربما توهمنا أن فيه مبالغة بسبب اختلاف المذاهب . فتبين
لنا بعد اطلاعنا على ما ذكرنا أنهم قد اقتصروا واختصروا ولم يبلغ إليهم إلا
بعض ما كانوا عليه من الضلال .

وقد اجتمعت تلك الضلالات بأجمعها مع زيادات وبدع جديدة وتمجس
فظيع في هذه الطرق الشيطانية الممقونة التي ورثت تلك الضلالات وأضافت إليها
خبائث القائلين بوحدة الوجود . فلا يمكن أن يتصور الإنسان نحلة كفرية أجمع
للضلال والرجس من نحلة هؤلاء .

ولعل وصفنا هذا لها لا يفي بعشر من حقيقة ما فيها من الضلال . لانهم
تبعوا كل باب من علوم الإسلام وأحكامه وما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته
وكتبه ورسله وما جاءت به الرسل فبدلوه إلى نوع من الكفر بعيد على منهاج
يفر الضعيف والجاهل بأنهم إنما يكشفون له عن الأسرار المضمون بها والحقائق
المكتومة ، والعلوم الكشفية .

وأهل هذه الطرائق يقولون بألوهية أشياء كثيرة ثم يعودون فيقولون هي

شيء واحد . وهذا كان في التحذير من هذه الطرق وربما نبين في كتاب آخر مماثلة طرائقهم لديانة المجوس كما بينها البيروني المتوفى سنة أربع مائة وأربعين من الهجرة في كتابه المسمى (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة) وطريقة فأنخبل المجوسية . وما للمجوس من الرياضات وما يكون للمتروطين منهم من الخوارق وقد ذكر ابن بطوطة عددا ممن لقيه منهم وسماهم جوكية . وهم يزعمون أنهم يدركون بها ثمانية أشياء من الخوارق . منها القدرة على الاختفاء إذا أراد أو الخطوة . وتكبير حجم البدن والتأثير بالهمة ، والخيال والعلو في الجو وغير ذلك .

وهي كما ترى أمور جزئية قد نص كبار أهل التصوف للإسلامي على وقوعها للبراهمة وأهل الرياضات الباطلة وبعض الرهبان . فإن لأهل الحق فتحا يزيدهم تمكيننا وإيقاننا ، ولأهل الباطل فتحا يزيدهم ضلالا وطغيانا .

وقد قال القطب الإمام الحبيب عبد الله الحداد : إن أهل الله ينقسمون على الجملة إلى ثلاثة أقسام . وإن في مقابلة كل قسم منها طائفة من الكاذبين يتشبهون بالصادقين وليسوا من الصدق وأهله في شيء . غير أن الكاذب الذي يقابل الصادق هو على ضدهما عليه الصادق في حقيقة الأمر ، وإنما يلتبس الأمر بينهما من حيث الظاهر على من لا تحقيق عنده ولا بصيرة ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

والأمر المفعول الذي أشار الله إليه يدخل فيه أشياء كثيرة . فإن الله جعل الحق وجعل له أئمة يدعون إليه . وجعل الباطل وجعل له أئمة يدعون إلى النار أمتحانا لعباده ليحققوا بالصدق ويصححوا بتجانبته مقاماتهم واسبق الكلمة في قوله تعالى : ﴿ لَا مَلَأْنِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

ومنها فتنة الدجال المنتظرة والتي ستكون أعظم فتنة تطرق هذا العالم فلا بد

أن تسبقه شبه واغلاط دينية وضلالات اعتقادية تمهيدا لظهوره وتوطئة له ،
وبوادر العلامات بقرب ظهوره قد ظهرت .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ما صنع شيء إلا من أجل الدجال وهو حديث صحيح روى موقوفا ومرفوعا . والصنائع قد ملأت العالم وستزداد ، والمجاعات التي تسبقه أخذت تظهر شيئا فشيئا . فلا يثقلن ما كتبناه في موضوع وحدة الوجود والطرائق الممقوتة على من وقف على كتابنا هذا فسيأتى وقت قريب يود فيه بعض المؤمنين أنازدنا في الشرح والبيان . عندما تظهر شبه أعظم مما ذكر . والله الحافظ ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم . وإذا أراد الله شيئا هيا أسبابه وقد ذكر جمال الدين السيد الشريف محمد بن عبد الله بن شيخ العيديرى العلوى الحسينى فى كتابه أسرار علوم المقربين . أمر البراهمة وطيرانهم من غير دوران . ونبه على أن الخوارق تكون للمرتاضين من المحققين والمبطلين والميزان الصحيح للفرق بين الصالح والطالح والحق والمبطل هو الاستقامة وفى كتاب (العلم النبراس بتبيين منهج الاكياس) للحبيب عبد الله بن علوى العطاس بيان لذلك .

والسر فى وقوع الخوارق للمبطلين أن من الخوارق ما يأتى سببه من جانب الروح فإذا جدَّ الإنسان واجتهد فى مخالفة العوائد الجسدية فى الطعام والنام والكلام والخلطة وخرق عوائده الجسدية على ما قيل . من خرق من نفسه العوائد . انخرقت له العوائد ظهر عليه بعض أعمال الروح وخصائصها إلا أن المبطل لا تظهر عليه الشئون المتعلقة بالحق وإنما يظهر له ما يناسب ضلاله . وهذه الخوارق لا تدل على صحة حال من ظهرت عليه ولا قربه من الله .

وأما تكبير حجم البدن فهو من تأثير الروح فى البدن وقد يحصل للحق والمبطل .

جاءني مرة رجل أحسبه من أهل قرية الشعبة بأعلى وادي عهد من حضر موت يسألني وهو مهتم بواقعة حصلت له . فقال لي إني لم أزل ملازما لقيام آخر الليل منذ ثلاثين سنة فلما كان في شهر ذي الحجة منذ ثلاثة أشهر قمت على عادتي فبينما أنا أثناء وردى اذ رأيت بدني يعظم ويكبر حتى صار إلى هيئة غريبة ثم عاد يتناقص حتى عدت إلى حالي الأولى وإني خفت أن يكون ذلك من الشيطان فتركت قيام الليل من ذلك الحين .

فقلت له . لا تخف ولا تترك قيام الليل والذي وقع لك إنما هو مظهر من مظاهر الروح إذا أمدت الجسدية وعسى أن يكون مقدمة خير لك وأعطيته نسخة من رياضة الجنة . في أذكار الكتاب والسنة . وقلت له داوم على قراءتها فإن في ذلك عصمة من الشيطان باذن الله . وهذا الرجل من العوام وكان على القامة ضائع الجسم ووقع ذلك لكثير من أسلافنا وبعض أسياننا وأسيانهم وهم لا يعوّلون عليه وليس بالأمر المهم . وكذلك جزئيات الخوارق التي وقعت للراهمة . وقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك أن أهل الظلام يكون لهم فتح في الأمور الفانية مكرا واستدراجا من الله وإبعادا لهم عن حضرته وأن الحق نور تسقى به ذوات أهل الحق فتشعشع به أنورا المعارف في ذواتهم . وأن الباطل ظلام تسقى به ذوات أهل الباطل فتسود عقولهم . وتعى أبصارهم عن الحق . وتصم آذانهم عن سماعه ، بل لا يقع في عقولهم ولا يخطر ببالهم ، وإنما الحق عندهم بمنزلة شيء في طي العدم لم يسمع به قط . وأن الله خلق النور وخلق منه الملائكة الكرام وجعلهم أعوانا لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد وكذلك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعوانا لأهل الباطل بالاستدراج والمزيد في الخسران والتمكن من الخوارق اه . وقد عقد فصلا لهذا فارجع إليه إن أردت .

ومما يستوقف النظر ويستنفذ العجب في أمر القائلين بوحدة الوجود أنك

تجد هؤلاء بذكرون في كتبهم المطلق والوجود المطلق وتجد أتباع أفلاطون اليوناني كذلك يعبرون بالمطلق . وتجد مجوس الهند من البراهمة والنحلة التي يقال لها الجينية يعبرون بالمطلق وهو بلفتهم « أوتمان » وبعضهم يقول « براهما » ومنهم من يفسره بالخلاء والفضاء أو بالعدم أو بالشئ الذي لم يتعين في الخارج وهم مختلفون فيما بينهم .

فكيف أتفق لهذه النحلة أن يتصادق أهلها في التعبير عن أصل معتقدهم مع اختلاف أزمنتهم وأقطارهم ولغاتهم . فإما أن يكون أخذ بعضهم عن بعض وإما أن يكون الشياطين قد أوحى إلى كل منهم بذلك الباطل ، وكما أن لهم اتفاقاً في الأصل فإن لهم اتفاقاً في الفروع والتفصيلات ولم يوضع هذا الكتاب لتحريض ضلالتهم فلذلك لا نحب الإطالة في ذلك .

على أن هنا مسألة لا بد من الإشارة إليها . وهي أن أهل وحدة الوجود من مجوس الهند يوصون أتباعهم بترك أهل كل دين على ما هم عليه وأن كل دين حق وكل الأديان إنما تطلب الله وإن عبدت النار أو الشمس أو الأشجار أو بعض النار أو الحيوانات والأوروبيون إذا ذكروا ذلك من دينهم مدحوه عليه إغراء لغيرهم بالتساهل في الدين ويسمونهم (التسامح) ومدحوا عليه وجعلوا يسمون التمسك بالدين (التعصب) وأغرقوا في ذمه وعابوا به كل متمسك بدينه حتى صار كثير من المسلمين المتصلين بهم يتركون الفرائض ويقتربون المحارم ليحصلوا على اسم متسامح أو معقول وساعدتهم على ذلك أتباعهم من زنادقة العصر ومن لا دين له .

وزعم هؤلاء أن أهل وحدة الوجود من المتصوفة يصوبون التدين بجميع الأديان ، حتى عبادة الأوثان وأنهم إنما كانوا على هذا الدين . ونقلوا عن بعضهم أبياتاً من أشعارهم يقولون فيها إن كل دين هو دينهم . وهذا لا يفيد

شيئاً فإنه إن كانوا أرادوا به ظاهر قولهم فهم قوم تمجسوا وقضى الأمر . وإن أرادوا به معنى آخر فلا يمكن القطع بأنهم كانوا على دين المجوس .

وقد بلغنا أن إنساناً من أهل (عدن) أو قريباً منها لم أتأكد اسمه ولكنه ينسب إلى قبيلة عريقة في الإسلام ألف رسالة يصوب جميع الأديان ويؤكد أن يمثل الكفر كلها إنما هي ملة الإسلام فلا بد أن يكون هذا الإنسان باطنياً زنديقاً أو مجوسياً هرطيقياً . قالوا وأنه استدل على ذلك من القرآن ولا يستطيع أحد أن يستدل على تصويب أديان الكفر من القرآن اللهم إلا محرف مفتر مباحك متعجل غمر . فإن بيان القرآن لا يماثله في العالم بيان . وتكاد كل سورة منه بل كل آية تصرح بأنه الدين الحق وما سواه باطل . وقد صنف الناس إلى مسلم ومذابح ومشرِك وكتابي وفرق بينهم لفظاً ومعنى وحكماً وما لا من جنة أو نار فكل لفظ منها يدل على طائفة من الناس تختلف عن غيرها في كل ما ذكر . وهذا ما لا يحتاج إلى شرح ولكن الشبهات والزندقة لا بد من ظهورها وتكاثرها تمهيداً للدجال الذي ظهرت علامات قرب ظهوره وسيكون هؤلاء وأشباههم من جملة أتباعه .

وقد عرفت رجلاً في عدن منذ أكثر من أربعين سنة يقول بهذا القول ويتلو قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر) الآية . فظن أن معنى الآية يدل على أن اليهود والصابئين والنصارى مؤمنون ولو كان ذلك معناها لما قال الله تعالى : من آمن منهم بالله فخص من آمن منهم وبين المعنى المراد من الإيمان بقوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية ولو كان المراد أنهم مؤمنون من الأصل ، لما قال في الآية من هذه السورة : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية وقال بعقبها (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا .) وقال (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل

بل ملة إبراهيم) وقد بين ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بقوله (ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم) الآية . وقوله تعالى . (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) الآية . وقوله تعالى : (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وذكر وصية يعقوب بن إبراهيم عليهما السلام لبنيه بالإسلام (إن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . وقال تعالى : (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) . ولو آمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا يهودا ولا صابئين بل يكونون حبيثا مسلمين . وقال (ولو أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم) الآية فسمى ما هم عليه أهواء وسماهم أهل الكتاب ولم يسمهم مسلمين . ولما أمرهم الله في القرآن بالإيمان في آية . (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) . وبقوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا) الآية كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . فدل ذلك على أنهم لم يكونوا مؤمنين قبل ذلك . وقال تعالى (وقالوا قلونا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) فأخبر أنهم كفار وقال : (فلما جاءهم ماء فوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال تعالى : (ولإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا لو كنا نؤمن بما أنزل الله وأنت من أولي الألباب) فأخبرنا أنهم لم يؤمنوا بما أنزل الله وأنهم يكفرون بغير ما أنزل عليهم وهو الحق . وقال تعالى : (قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله) الآية . فأخبر أنهم كفارون وأنه عدوهم . وقال تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا) فأخبرنا أن خلاف الإسلام كفروا وأهله كفار وقال تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى) . فأخبرنا أن ملتهم ليست بهدى بل ضلال وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) . وأخبرنا بأن الذين

يفرقون بين رسله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كفار حقا بلا تأويل ولا مجاز بأن يؤمنوا مثلا بموسى دون عيسى أو بعيسى دون محمد صلوات الله عليهم فقال تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله . ويقولون نؤمن ببعض . ونكفر ببعض . ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) . وقال تعالى: (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم . وإن تكفروا فإن الله مافى السموات والأرض) فأمرهم بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوعدهم على عدم الإيمان به وسماه كفرا . وقال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) . ثم قال (أفغير دين الله يبغون) . وقال: (ومن يبتغ غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه) . وقال: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم للمسلمين) . وعلمنا الإسلام فقال تعالى: (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) . فأخبرنا أن دين الله هو الإسلام وأن من الناس من يبتغ غير الإسلام وقال: (ومن يبتغ غير الإسلام ديننا فلن يقبل منه) فدلنا على أن من الناس مسلما وكافرا وإن منهم من ابتغى الإسلام ديننا ومنهم من ابتغى غير الإسلام . وعلمنا الإسلام فقال: (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) . فمن لم يؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فليس بمسلم ولا مؤمن لقوله: (قل) أى يا محمد (آمننا بالله وما أنزل علينا) الآية . إلى قوله: (ونحن له مسلمون) ولقوله: (ومن يبتغ) أى يطلب (غير الإسلام ديننا) وهؤلاء كانوا جهالا فلم يفرقوا بين الإسلام طوعا والإسلام كرها . فالإسلام كرها معناه الخضوع قدرا وكونه لفعل الله لا اسلام النفس طوعا وشرعا تسليما لأمر الله ودينه . بل اسلام تسكوبنى تحت

مجارى قدرة الله وقوته ونفوذ قدرته وكل الناس مؤمنهم وكافرهم تحت مجارى
 قدرة الله وقوته ونفوذ قدرته وكل الناس مؤمنهم وكافرهم تحت مجارى القدرة
 الالهية . نافذة فيهم شاؤا أم أبوا وهذا لا يسمى ديناً . ولكنه يسمى اسلاماً كرها
 لا اختيار فيه لصاحبه ولا ابتغاء أى طلب ولا قصد ولا طاعة ، بل هو مجرد
 خضوع كوني لا شرعى ومن اكراه على الإسلام لا يكون مسلماً حتى يبتغى ذلك
 ويختاره قال الله تعالى (لا اكره فى الدين) وإنما معنى الإسلام كرها مثل السجود
 كرها فى قول الله تعالى : (والله يسجد فى السموات والأرض طوعاً وكرها
 وظلالهم بالغدو والآصال) فالمراد بالسجود الخضوع والانفعال لقدرة الله .
 وهل للظلال عقول ودين حتى تسجد السجود المعروف كلا ولكن المراد
 الخضوع كقوله تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض
 والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس . وكثير
 حق عليهم العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) . فهنا
 فرق بين الناس وفصل أمرهم ويبين ذلك قوله تعالى : (تسبح له السموات السبع
 والأرض ومن فىهن وإن من شىء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
 إنه كان حليماً غفوراً) ومن حلمه وعفوه ستر هذه الأمور وإن كان خضوعها لله
 ظاهراً لنا بلزوم كل مخلوق لما خلق له قال تعالى (الذى أعطى كل شىء خلقه
 ثم هدى) . ولولا ذلك لمعطت معاشنا ومصالحنا ولا يمكن أن يفرس الإنسان
 نخلة فتستحيل شجرة سمر مثلاً أو يزرع برا فيعود حفظاً . فلزوم المخلوقات الشنة
 التى خلقها الله عليها هو من معانى سجودها . وأما الناس فسجودهم الذى هو
 بمعنى دخولهم تحت نفوذ القدرة لا ينجيهم من عذاب الله . ولا يكون ذلك من
 الإسلام الذى يبتغيه الشخص ويطلبه ويتخذه ديناً . فهذا هو الدين . وأما ذاك
 فهو خضوع لقوة الله وقدرته شاء أم أبى . وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب

كعملوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا) أى تولوا عن ذلك (فقولوا أشهدوا باننا مسلمون) فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمة قالوا بما فى الآية وآمنوا بها فهم مسلمون ومن تولى فليس بمسلم وهذا نظير قول الله تعالى : (شهد الله أنه إن الدين عند الله الإسلام) . فبعد أن شهد أنه لا إله إلا هو عرفنا أن الدين عنده هو الإسلام كما وصفه وأن الذين أوتوا الكتاب غير مسلمين لقوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن . وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم) ولو كانوا مسلمين من قبل لما طالبهم به ولما استفهمهم استفهام التقرير المضمن للأمر . ولما قال : (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فدل هذا على أنهم لم يكونوا مسلمين من قبل . ثم قال : (وإن تولوا) أى تولوا عن الإسلام فى هذا دلالة أخرى على أنهم تولوا عنه بعد أن طولبوا به فليسوا مسلمين لا من قبل ولا من بعد وقوله (فقد اهتدوا) أى إلى الإسلام فلا هداية ولا اسلام لهم من قبل .

* * *

وبالجملة فلو تتبع عالم مافى القرآن فى هذا المعنى لأمكنه مع تبين دلالاته أن يجمع من ذلك ما يكون فى مجلدات وهذا من الأمور القطعية ، وإذا كان كل الناس مؤمنين فمن الكفار المأمور بدعوتهم إلى الدين وبجهادهم والمتوعدون بالنار والعذاب والمأمور بقتالهم حتى يعطوا الجزية والمنهى عن نكاح نسائهم والمحرم ذبائهم إلى آخر ما يطول عده من الأحكام الشرعية ، وأى حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الدين إذا كانت الأديان كلها صحيحة فمثل تحريف هؤلاء الناس فى الدين والقرآن لا يقال له غلط ولا خطأ وإنما هو

زندقة وتلاعب أو أن قائل ذلك صار مجوسيا من البيانات أو البراهمة ،
عامله الله بعد له .

وقد طال الاستطراد وإن كانت المناسبة ظاهرة بين هذه الابحاث
والله ولي المتقين .

أنتهى الجزء الأول من عقود الألباس

بفصوله الخمسة

ويليه

الجزء الثانى

مباحث الجزء الأول من عقود الأمان

الموضوع	ص	الموضوع	ص
تعريف الولي	٣٥	الخطبة	٢
الفصل الثالث في التنبية على شبهات وأغلاط	٤١	الفصل الأول في جملة من أحوال شيخنا	٦
الفصل الرابع في طريقة شيخنا	٥١	سفره إلى الحرمين	١١
الخ...		اجتهاده في العبادة	١٢
ذكر شيء من كلام شيخنا في الطريقة العلوية	٥٧	عنايته بتحصيل العلوم	١٢
مجموع الطريقتين الغزالية والشاذلية	٦٣	تمكّنه من علم الظاهر والباطن	١٥
هي الطريقة العلوية		بذل جهوده في الإصلاح	١٦
الطريقة العلوية خاصة وعامة	٧٢	تقلّله من المأكولات	١٨
مجاهدات السادة العلويين	٧٧	تحمله وصبره ونشاطه في العبادة	١٨
الطريقة العلوية العامة	٨٢	غرائب في خصوصياته	٢١
عقيدة العلويين عقيدة أهل السنة	٨٦	رؤيته الحضرة النبوية مناما مرارا	٢١
سبب الاطالة في ذكر عقائدهم	٩٦	خلقته وخلقته وبعض عاداته	٢٣
نهيهم عن مطالعة بعض الكتب	٩٩	الفصل الثاني في فضل الأولياء	٢٧
الفصل الخامس في التحذير من الطرائق الشيطانية	١٠٦	وتعريف الولي	
		السبب في ذكر هذه الروايات	٣٣

